ثقـافـة الكاتب
في التراث النقدي

إعداد

الدكتور

فتحي علي عبده

الأستاذ المتفرغ بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة المنوفية

إصدار شهر يونيو لعام 2019 م

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

ثقافة الكاتب في التراث النقدي

اعتمدت الكتابة الفنية في تطورها على طبقة من الكتاب المثقفين ، الذين ألموا بثقافات عصرهم المتعددة. ولما كان لهذه الثقافات أثر كبير في تكوين شخصية الكاتب الأدبية ، وتحديد مدى فاعليته في دفع عجلة التطور الأدبي ، فإننا نعرض في هذا البحث لما يجب أن يلم به الكاتب من ثقافات متعددة.

وجدير بالذكر أن مدلول كلمة «كتابة» يتضمن معنى العلم والمعرفة ، يقول ابن الأعرابي : « وقد تطلق الكتابة على العلم ومنه قول الله تعالى : (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) سورة الطور 41. أي يعلمون ، وعلى حد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في كتابه إلى أهل اليمن حيث بعث إليهم معاذًا أو غيره : « إني بعثت إليكم كاتبًا ». أراد عالمًا ، سمي بذلك لأن الغالب على من كان يعرف الكتابة ، أن عنده العلم والمعرفة »[1].

ولأن الكاتب يتضمن معنى العالم ، فقد أجمعت المصادر على ضرورة أن يكون الكاتب قد « نظر في كل صنف من صنوف العلم فأحكمه ، فإن لم يحكمه شدا منه شدوًا يكتفي به »[2]. ويقول ابن الأثير : « إن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون ، حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء ، والمشاطة عند جلوة العروس ، وإلى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة ، فما ظنك بما فوق هذا ، والسبب في ذلك أنه مؤهل لأن يهيم في كل واد ، فيحتاج أن يتعلق بكل فن »[3]. ويذكر ابن الأثير أيضًا أن : « كل ذي علم يسوغ أن ينسب إليه ، فيقال فلان النحوي ، وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم ،

---

(1) صبح الأعشى للقلقشندي : 1/ 51. ومادة كتب بلسان العرب. طبعة دار المعارف بمصر.
(2) الوزراء والكتاب : للجهشياري : 75.
(3) المثل السائر لابن الأثير : 1/ 31 ، ويراجع الوشي المرقوم في حل المنظوم لابن الأثير : 5.

ولا يجوز أن ينسب المتعلق بالكتابة إليها ، فلا يقال فلان الكاتب لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن »[4].

ويرجع الاهتمام بثقافة الكاتب إلى البواكير الأولى للكتابة ، نلمس ذلك الاهتمام عندما طلب الرسول – صلى الله عليه وسلم – من زيد بن ثابت أن يتعلم العبرية[5] ، وقيل السريانية[6] ، حتى يستطيع أن يرد على الكتب التي ترد عليه من أهل هذه اللغات. وكأن الرسول يعد عدم معرفة الكاتب للغات الأجنبية نقصًا في رتبته. ونلمس أيضًا الاهتمام بثقافة الكاتب اللغوية حتى يتجنب الخطأ ، فيما كتبه عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ، وقد قرأ في كتابه لحنًا : « قنع كاتبك سوطًا »[7].

ونلمس بعض مكونات هذه الثقافة أيضًا في وصف عبدالملك بن مروان لرَوْح بن زِنْباع بأنه : « شامي الطاعة ، عراقي الخط ، حجازي الفقه ، فارسي الكتابة »[8]. وكأن عبدالملك بن مروان يعرض في هذا الوصف للثقافات التي ألم بها رَوْح بن زِنْباع من ثقافة إسلامية تتمثل في : الفقه وما استوجبه من معرفة بالقرآن والحديث ، حتى يستطيع معرفة الأحكام الشرعية في الحلال والحرام ، وما يستتبع ذلك من إلمام بالثقافة العربية : شعرها ونثرها ، ومعرفة دقائق اللغة ونحوها وتصريفها ، ويضاف إلى ذلك إلمامه بالثقافة الأجنبية التي تتمثل في اطلاعه على ثقافة الفرس والوقوف على طرائق الكتابة عندهم .

---

(4) المثل السائر : 1/ 7 ، 8 ، وراجع صبح الأعشى : 1/ 146.
(5) فتوح البلدان : 460.
(6) بهجة المجالس : 1/ 356 ، وراجع أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين بن الأثير : 2/ 279.
(7) أدب الكتاب للصولي : 129.
(8) الوزراء والكتاب : 35. وكان روح بن زنباع الجذامي ، ويكنى أبا زرعة يكتب لعبدالملك بن مروان.

ويأتي عبدالحميد بثقافاته المتعددة فيضع دستورًا للكتاب ، اهتم فيه بتوضيح أثر الثقافة في رفع مكانة الكاتب ، فيقول : « فنافسوا ، معشر الكتاب ، في صنوف العلم والأدب ، وتفقهوا في الدين ، وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل ، والفرائض ، ثم العربية ؛ فإنها ثقافة ألسنتكم ، وأجيدوا الخط ؛ فإنه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها ؛ فإن ذلك معين لكم على ما تسمون إليه يهممكم ، ولا يضعفن نظركم في الحساب ؛ فإنه قوام كُتاب الخراج منكم »[9].

لقد أسهمت رسالة عبدالحميد في توجيه نظر الكتاب إلى ينابيع الثقافة المتعددة، فنجد أبا أيوب المورياني – وهو أحد من جمع إلى الوزارة رياسة الدواوين في عهد أبي جعفر المنصور – يقول عن نفسه معددًا ثقافاته المتنوعة : « ليس من شيء إلا وقد نظرت فيه إلا الفقه فلم أنظر فيه قط ، وقد نظرت في الكيمياء والطب والنجوم والحساب والسحر»[10]. ولاشك أنه لا يقصد بعدم نظره في الفقه جهله بكافة جوانب الثقافة الإسلامية : من معرفة بكتاب الله ، وأحاديث رسوله ، ومعرفة الحلال والحرام ، وأغلب الظن أن ما يريده بالفقه هو القدرة على استنباط الأحكام الشرعية ، ومما يرجح ذلك أن الجهشياري يصفه بأنه « أخذ من كل شيء طرفًا »[11]. فلا يمكن إذن أن يلم بكل هذه الثقافات ، ويغفل جانبًا مهما في تكوين ثقافته.

ومن طريق ما يشير إلى ثقافات الكاتب المتعددة ، قول أبان بن عبدالحميد اللاحقي الكاتب ، يصف نفسه ، أو يمدح نفسه – على حد تعبيره – عندما أراد الاتصال بالفضل بن يحيى البرمكي[12] :

---

(9) الوزراء والكتاب : 75.
(10) المصدر نفسه : 79. واسم أبي أيوب المورياني سليمان بن مخلد.
(11) المصدر نفسه والصحيفة السابقة.
(12) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق لأبي بكر الصولي : 4 ، 5.

أنـــا مـــن بغيـــة الأميـــر وكنـــزٌ مـــن كنـــوز الأميـــر ذو أربـــاح
كاتـــب ، حاســـب ، خطيـــب ، بليـــغ ناصـــح زائـــد علـــى النصـــاح
شـــاعر مُفلـــق أخـــف مـــن الـــرِّ يشـــة ممـــا يكـــون تحـــت الجنـــاح
ثـــم أَروي عـــن ابـــن هرمـــة للنـــَّ ـــاس بشـــعر مُحبـــر الإيضـــاح
ثـــم أرويَ مـــن ابـــن ســـيرين للـــعلم بقـــول منـــور الإفصـــاح
.....
لـــي فـــي النحـــو فطنـــة ونفـــاذ لـــي فيـــه قـــلادة بوشـــاح
....

أبصـــر النـــاس بـــالجوارح والخيـــل وبـــالخرَّد الحســـان المـــلاح
كـــل هـــذا جمعـــت والحمـــد للـــه علـــى أننـــي ظريـــف المـــزاح

فهذه الأوصاف تترجم ما ذكره عبدالحميد الكاتب من أنواع الثقافات المتعددة التي يجب أن يلم بها الكاتب ، فأبان يشير إلى أنه كاتب ، شاعر ، خطيب ، جمع أطراف البلاغة ، وأتقن الحساب ، وأنه راوية للأشعار ، يصير بالنحو واستعمالات اللغة ، عالم بالفقه ، يصير بأوصاف الخيل والجوارح والنساء.

ولما كانت الثقافة تقوم بدور أساسي في تحديد مكانة الكاتب ، فقد تعددت التساؤلات عن الكاتب المثال ، أو – كما وصفوه – الكاتب الذي يستحق اسم الكتابة. فقد قال الحسن بن سهل لكاتبه : « ما المنزلة التي إذا نزل بها الكاتب كان كاتبًا في قوله وفعله واستحقاقه؟ قال : أن يكون مطبوعًا على المعرفة ، محتنكًا بالتجربة ، عالمًا بحلال الكتاب وحرامه ، وبالدهور في تصرفها وأحكامها ، وبالملوك في سيرها وأيامها، وأجناس الخط .... مع تشاكل اللفظ وقرب المأخذ. قال الحسن : فليس في الدنيا إذن كاتب »[13].

(13) زهر الآداب للحصري : 1/ 117. وراجع أيضًا الصناعتين لابن هلال العسكري : 440.

فمن الشروط التي يستحق بها الكاتب منزلة الكاتب المثال ، أن تتوافر عنده الموهبة ، وأن يكون مطبوعًا على حب المعرفة ، حتى يستطيع أن يصقل تلك الموهبة بشتى أنواع المعارف ، وأن يكون قادرًا على الاستفادة بما يمر به من تجارب ، وأن يكون عالمًا بحلال الكتاب وحرامه ، أي لابد من إلمامه بالثقافة الإسلامية من حفظ لكتاب الله وأحاديث رسوله ، حتى يستطيع أن يدرك ما هو الحلال والحرام ، ولاشك أنه لن يستطيع تحصيل ذلك والوقوف عليه إلا بعد أن يلم بالثقافة العربية والموروث الشعري والنثري ، ومن ثقافة الكاتب أيضًا أن يكون قد جمع طرفًا من سير الملوك وأيامها ، وأن يكون قادرًا على توظيف هذه الثقافات للارتقاء بقدرته البلاغية ، فتصبح ألفاظه سهلة ، قريبة المأخذ ، بعيدة عن التوعر ، مشاكلة لمعانيه.

إن هذه الشروط يصعب توافرها في كل كاتب ، ولهذا يقول الحسن بن سهل : « فليس في الدنيا إذًا كاتب » – يشير إلى الجهد الكبير الذي يجب أن يبذله الكاتب حتى يستطيع أن يستحق وصف الكاتب .

ويرى ابن قتيبة – في أثناء عرضه لطرف من ثقافة الكاتب – أن الكاتب الكامل أو ما نسميه بالكاتب المثال هو الذي يلم بشتى أنواع الثقافات ، فيقول : « كانت العجم تقول : من لم يكن عالمًا بإجراء المياه ، وحفر فُرَضِ المشارب ، وردم المهاوي ، ومجاري الأيام في الزيادة والنقص ، ودوران الشمس ، ومطالع النجوم ، وحال القمر في استهلاله ، وأفعاله ، ووزن الموازين وذّرْع المثلث والمربع ، والمختلف الزوايا ، ونصب القناطر والجسور ، والدوالي ، والنواعير على المياه ، وحال أدوات الصناع ، ودقائق الحساب ، كان ناقصًا في حال كتابته »[14] ،

---

(14) أدب الكاتب لابن قتيبة : 10 ، وراجع المصدر نفسه : 11 ، وفرض المشارب مفردها : فرضة ، وهي الثلمة تكون في النهر يستسقى منها ، وراجع أيضًا عيون الأخبار لابن قتيبة : 1/ 44/ 45.

ويضيف إلى ذلك أهمية نظر الكاتب في جمل الفقه . ومعرفة أصوله من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته ، ودراسة أخبار الناس ، تحفظ عيون الحديث ، ثم يبين أن مدار الأمر على القطب هو " العقل وجودة القريحة " .

وبالنظر في هذه الثقافات نجد أن بعضها يتعلق بشئون الزراعة ، وبعضها يتعلق بالفلك ومجرى الأيام والليالي ، وبعضها يتعلق بالهندسة والبناء والحساب ، وبعضها يتعلق بالثقافة الإسلامية ، والمعارف العامة ، وكأن الكاتب يجب أن يكون موسوعيًا مطلعًا على شتى أنواع الثقافات ، وإلا كان ناقصًا في رتبته، غير مستحق لاسم الكتابة.

وتتفق هذه النظرة مع بحث ابن حيان التوحيدي عن الكاتب الكامل فيقول : « ولا يكون الكاتب كاملاً ، ولا لاسمه مستحقًا إلا بعد أن ينهض بهذه الأثقال (يعني المهارة في الحساب وكيفية تحصيل الأموال) ، ويجمع إليها أصولاً من الفقه مخلوطة بفروعها، وآيات من القرآن مضمومة إلى سعته فيها ، وأخبارًا كثيرة مختلفة في فنون شتى لتكون عدة عند الحاجة إليها ، مع الأمثال السائرة ، والأبيات النادرة ، والفقر البديعة ، والتجارب المعهودة ، والمجالس المشهودة ، مع خط كبير مسبوك ، ولفظ كَوَشْي محوك ، ولهذا عزَّ الكامل في هذه الصناعة ، حتى قال أصحابنا : ما نظن أنه اجتمع هذا كله إلا لجعفر بن يحيى ، فإن كتابته كانت سوادية ، وبلاغته سحبانية ، وسياسته يونانية ، وآدابه عربية ، وشمائله عراقية »[(15)].

وإزاء هذه النظرة إلى أهمية الثقافة كدعامة أساسية في تكوين شخصية الكاتب الأدبية ، فقد اهتم العديد من المصنفين بالكاتب وثقافته. فنجد – على سبيل المثال – أن من أوائل الكتب التي اهتمت بثقافة الكاتب كتاب « آلة الكاتب » لأبي

(15) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي : 1/ 99/ 100.

زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء ت 207[16]. وكتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة ت 276هـ الذي يعرض فيه لأهم جوانب الثقافة اللغوية التي يحتاج إليها الكاتب[17]. ونجد «الرسالة العذراء» لإبراهيم بن المدبر ت 279هـ تعرض لثقافة الكاتب[18] ، وصفاته[19] ، وما يجب عليه مراعاته في طبقات

---

(16) ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان : 6/ 181. وأكبر الظن أن هذا الكتاب لا يخرج عن حيز الاهتمام بالثقافة اللغوية ، ذلك أن معظم ما ذكره ابن خلكان من مؤلفات الفراء ينحصر اهتمامًا في الجانب اللغوي. فمن هذه المؤلفات : كتاب «البهي» ، وهو كتاب يجمع الألفاظ الفصيحة ، وكتاب «اللغات» وكتاب «المصادر في القرآن» ، وكتاب «الجمع والتثنية في القرآن» ، وكتاب «الوقف والابتداء» ، وكتاب «المفاخر» ، وكتاب «النوادر» ، وكتاب «الواو». ومن ثم يغلب الظن بأن كتاب «آلة الكاتب» يسير على النمط التأليفي للفراء.

(17) يذكر ابن قتيبة أن سبب تأليف هذا لكتاب ما وجده من انصراف كثير من الكتاب والمتأدبين عن الثقافة العربية، ولما كان الأمر يزداد خطورة يومًا بعد يوم ، فقد رأى أن يؤلف «كتبًا خفافًا في المعرفة ، وفي تقويم اللسان واليد». راجع ص 8 من أدب الكاتب لابن قتيبة بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط/4 1382هـ – 1963م – نشر المكتبة التجارية الكبرى – بمصر. وبرغم تركيز ابن قتيبة على الجانب اللغوي في كتابه فإنه يعلن بوضوح أنه «ليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا بالجسم ، ومن الكتابة إلا بالاسم ، ولم يتقدم من الأداة إلا بالقلم والدواة ، ولكنها لمن شدا شيئًا من الإعراب ... ومن النظر في الأشكال لمساحة الأرضين ... ومن النظر في جملة من الفقه ومعرفة أصوله ... ومن دراسة أخبار الناس ، وتحفظ عيون الحديث» راجع أدب الكاتب : 9 – 11. ولم يكتف ابن قتيبة بهذه الجوانب المهمة في تكوين ثقافة الكاتب فقط ، بل وجه عنايته إلى ما يجب أن يتحلى به الكاتب من خلق حسن= (أدب الكاتب : 11/ 12). وما يجب عليه في مكاتبته من ترك الوحشي الغريب ومراعاة أحوال المكتوب إليهم. (أدب الكاتب : 12 – 16). ومن هذا يتضح بجلاء أن مكونات الثقافة في نظر ابن قتيبة تتكامل مع بعضها لتكوين الدعامة الأساسية في بناء شخصية الكاتب. وبهذا ينتفي قول من زعم «أن أدب الكاتب خطبة بلا كتاب». وراجع أيضًا رد ابن خلكان على هذه المقولة في وفيات الأعيان : 3/ 43.

(18) يقول إبراهيم بن المدبر عن ثقافة الكاتب : «واعلم أن الاكتساب بالتعلم والتكلف وطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسة كتب الحكماء ، فإن أردت خوض بحار البلاغة ، وطلبت أدوات الفصاحة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه في تلقيح ذهنك واستنجاح بلاغتك ، ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به منطقك ، ويعذب به لسانك ، ويطول به قلمك. وانظر في كتب المقامات والخطب ، ومحاورات العرب ، ومعاني العجم ، وحدود المنطق ، وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم ، وسيرهم ومكايدهم في حروبهم ، بعد أن تتوسط في علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والشروط ككتب السجلات والأمانات ... وتمهر في نزع آي القرآن في مواضعها، واجتلاب الأمثال في أماكنها» ... كما يرى أنه يجب أن يكون

الكلام وأدب التخاطب[20]، كما يبين كيفية صنعة الرسالة ، وما يجوز في الشعر دون النثر[21]. ويؤلف أبو طالب المفضل بن سلمة ابن عاصم الضبي ت بعد 290هـ كتاب « ما يحتاج إليه الكاتب »[22] ، ويسهم عبدالرحمن بن عيسى الهمذاني ت 320هـ في إثراء لغة الكتاب فيؤلف كتاب « الألفاظ الكتابية » ليمدهم بثروة طيبة من الألفاظ المترادفة في الموضوع الواحد[23]. ويقتفي قدامة بن جعفر ت 337هـ أثر الهمذاني فيؤلف كتابه « جواهر الألفاظ »[24]. ويؤلف أبو بكر محمد

«عالمًا بحلال الكتاب والسنة وحرامها» ، راجع ص 7 ، 8 وكذلك ص 29 ، 31 من الرسالة العذراء بتحقيق دكتور زكي مبارك. مطبعة دار الكتب المصرية 1350هـ – 1931م ، ط/ 2.

(19) الرسالة العذراء : 8 ، 36.

(20) المصدر نفسه : 10 – 14.

(21) المصدر نفسه : 15 – 29. ومما يجدر الإشارة إليه أن ابن عبدربه والنويري قد نقلا أجزاء كبيرة من الرسالة العذراء. راجع العقد الفريد : 4/ 175 – 189 ، ونهاية الأرب في فنون الأدب : 7/ 185 – 188.

(22) ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان : 4/ 206 وذكر السيوطي في بغية الوعاة : 2/ 297 : 124 أن اسم الكتاب «آلة الكتابة» وذكر أبو البركات بن الأنباري أن اسم الكتاب «آلة الكاتب». نزهة الألباء : 124 وأكبر الظن أن الكتاب واحد ، وان اختلف في اسمه ، ولا يمكن الجزم بموضوع الكتاب ، وإن كان الظن الغالب على الباحث أنه لا يخرج عن حيز الثقافة اللغوية التي اشتهر به المفضل بن سلمة الضبي.

(23) يذكر المؤلف في مقدمة كتابه أنه قام بجمع أجناس من «ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة عن الاشتباه والالتباس ، السليمة من التقعير ، المحمولة على الاستعارة والتلويح ، على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة دون مذاهب المتشدقين والمتفاصحين» راجع مقدمة كتاب الألفاظ الكتابية تصحيح الأب لويس شيخو اليسوعي، ط/ 7. مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت – 1898م.

(24) يختلف منهج قدامة بن جعفر في كتابه «جواهر الألفاظ» عن كتاب الهمذاني ، فمع أن كلا الكتابين يدور حول الألفاظ المترادفة ، فإن قدامة آثر أن يأتي «بالألفاظ المتقاربة الأوزان والمباني ، المتناسبة الوجوه والمعاني» ولهذا نراه يعقب على كتاب الهمذاني بقوله : «وقد ألف للألفاظ غير كتاب ، فقيل : أصلح الفاسد، وضم النشر ، وسد الثام ، وأسا الكَلْم. فوزن أصلح الفاسد مخالف لوزن ضم النشر ، وكذلك سد ، وأسا. ولو قيل : أصلح الفاسد ، وألف الشارد وسدد العائد ، وأصلح ما فسد ، وقوم الأود ، أو قيل : صلح فاسده ، ورجع شارده لكان في استقامة الوزن واتساق السجع عوضًا من تباين اللفظ وتنافي المعنى والسجع». راجع ص : 2، 3 من جواهر الألفاظ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط/ 1 – نشر دار الكتب العلمية – بيروت 1979م. ومن هذا نرى أن كتاب الهمذاني يمد = الكاتب بالألفاظ المترادفة للتعبير

بن يحيى الصولي ت 335هـ كتاب « أدب الكتاب »[25] ليضع بين أيدي الكتاب صورة مثلى لما تجرى عليه شتى أنواع المكاتبات[26]، كما يبين لهم كيفية التعامل مع الكتب الصادرة من الديوان والواردة إليه[27]، وما يحتاجون إليه من أدوات الكتابة[28] ، وما يجب الإلمام به من معرفة بوجود الأموال وكيفية تحصيلها وتصريفها[29] ، وما يجب الإلمام به من الثقافة اللغوية التي تعينهم على إقامة الخط وإجادته[30].

ومن الكتب التي تهتم بالكاتب وثقافته كتاب « صناعة الكتاب » لأبي جعفر النحاس ت سنة 337هـ[31]. ومنها أيضًا كتاب « كنز الكتاب » لأبي الفتح كُشَاجم

عن المعنى الواحد بألفاظ متعددة ، أما كتاب قدامة فإنه يحقق إلى جانب هذا المحافظة على موسيقية الألفاظ.

(25) يختلف مفهوم أدب الكتاب «عند الصولي عن مفهومه عند ابن قتيبة» فابن قتيبة يعني في كتابه بتزويد الكاتب بالثقافة اللغوية بالإضافة إلى الإشارة إلى الثقافات الأخرى. أي أن مفهوم أدب الكاتب عنده يرتكز أساسًا على الثقافات العلمية. أما مفهوم أدب الكتاب عند الصولي فإنه يدور أساسًا حول الثقافات العملية التي يفيد منها الكاتب في عمله بالديوان. وعلى هذا ، فكتاب الصولي يضع الأسس الأولى التي يحتاج إليها الكاتب الناشئ ، أما كتاب ابن قتيبة فيعتبر مرحلة متقدمة تهدف إلى تكوين الكاتب الكامل. ولذا يصرح في مقدمة كتابه بأنه لم يضعه إلا لمن شدا جانبًا من الثقافات المتنوعة ، ولاشك أن من هذه الثقافات ما ذكره الصولي في كتابه. وبهذا يتضح بجلاء أنه برغم اختلاف مفهوم ابن قتيبة والصولي لأدب الكاتب فإنهما يتكاملان معًا في وضع رؤية متكاملة لتكوين الكاتب المثقف. وجدير بالذكر أن القلقشندي في موسوعته – صبح الأعشى – قد جمع بين مفهومي ابن قتيبة والصولي لأدب الكتاب وبنى كتابه عليهما.

(26) راجع أدب الكتاب نشر محمد بهجة الأثري ، المطبعة السلفية بمصر سنة 1341هـ صفحات 36، 39 – 41، 145، 148، 150 – 156 ، 163 – 165.

(27) راجع المصدر نفسه صفحات : 120، 124، 127، 135، 136، 138، 139.

(28) راجع المصدر نفسه صفحات : 53 ، 86 ، 93، 115.

(29) راجع المصدر نفسه : 198 وما بعدها.

(30) راجع المصدر نفسه : 243 – 258.

(31) ذكره القلقشندي في صبح الأعشى. وذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان : 99/1 أن اسم الكتاب « أدب الكتاب ». كما ذكر السيوطي في بغية الوعاة : 362/1 أن اسمه « أدب الكاتب ». ولاشك أن هذه المسميات لكتاب واحد. ويبدو أن أبا جعفر النحاس قد اهتم في هذا الكتاب بما يقوم الكاتب في صناعته علميًا وعمليًا، ولذا يرجع القلقشندي إليه كثيرًا ، راجع

المتوفى بعد 358هـ[32]. ويسهم ابن جني ت 392هـ في إمداد الكاتب بجانب من الثقافة اللغوية فيؤلف رسالة في « ما يحتاج إلهي الكاتب من مهموز ومقصور وممدود مما يكتب بالألف والياء على حروف المعجم »[33].

ويؤلف أبو هلال العسكري ت 395هـ كتاب « الصناعتين » ليبين معالم الطريق إلى صنعة الكلام[34] ، كما يهتم ابن الصيرفي ت 542هـ في كتابه « قانون

مقتطفات من هذا الكتاب في صبح الأعشى : 1/ 141/ 148/ 150/ 154/ 171/ 210/ 213. 6/ 12/ 230/ 244 – 248/ 290/ 293/ 348/ 350/ 392/ 415/ 456/ 521. 7/ 72/ 134/ 135 ، 8/ 127 – 132/ 144 – 147. 13/ 254/ 271 ، وقد أخرجه محققا الدكتور بدر أحمد ضيف ، ونشر في مكتبة دار العلوم العربية ببيروت سنة 1990 م .

(32) ذكره القلقشندي في صبح الأعشى وأكبر الظن أن هذا الكتاب يهتم بالثقافة اللغوية للكتاب. إذ يذكر القلقشندي في صبح الأعشى (150/1) : « أن أبا الفتح كشاجم لم يزد في كتابه « كنز الكتاب » على ذكر الألفاظ وصور تركيبها ، كما يذكر في صبح الأعشى (154/1) : أن في« كنز الكتاب » لأبي الفتح كشاجم جملة جيدة من الألفاظ المتضادة » كما يذكر في (162/1) أن كشاجم جمع العديد من الألفاظ الكتابية. ويذكر أيضًا في (163/1/ 164) مكاتبة في التهنئة بمولود أوردها كشاجم في « كنز الكتاب » ، ويصفها بأنها " يستضاء بها " ليضع أمام الكتاب صورة واضحة لكيفية التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ مترادفة. وعلى هذا ، فكتاب « كنز الكتاب » لكشاجم يمد = الكاتب بثروة لغوية طيبة مع تدريبه على كيفية استخدامها في الأغراض المختلفة ، ولا شك أن لهذا الكتاب قيمة عظيمة لأنه يصدر عن كاتب خبير بأمور الكتابة ، عليم بأسرارها الفنية .

(33) راجع رسالة « ما يحتاج إليه الكاتب » ضمن ثلاث رسائل للإمام أبي الفتح عثمان بن جني عني بنشرها وجيه فارس الكيلاني. المطبعة العربية 1342هـ – 1923م. والرسالة تقع بين ص 38 – 48.

(34) يقول أبو هلال العسكري « ينبغي أن تعلم أن الكتابة الجيدة تحتاج إلى أدوات جمة ، وآلات كثيرة ، من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ وإصابة المعاني ، وإلى الحساب وعلم المساحة ، والمعرفة بالأزمنة والشهور ، والأهلة، وغير ذلك مما ليس هاهنا موضع لذكره وشرحه ؛ لأنا إنما عملنا هذا الكتاب لمن استكمل هذه الآلات كلها ، وبقي عليه المعرفة بصنعة الكلام ، وهي أصعبها وأشدها. راجع الصناعتين : 154. ولهذا يهتم أبو هلال العسكري ببيان ما يجب على الكاتب مراعاته في مكاتباته من سهولة الألفاظ وجزالتها، ومعرفة المستعمل منها ، والبعد عن الساقط والعامي منها ، ومعرفة ترتيب الألفاظ ترتيبًا صحيحًا ، وعدم تكرير الكلمة الواحدة في كلام قصير ، وتجنب ما يكسب الكلام تعمية ، ومكاتبة كل فريق على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق ، ومعرفة تصريف وجوه الكلام في المكاتبات المختلفة ، وتجنب إعادة حروف الصلاة والرباطات في موضع واحد. راجع الصناعتين : 149 – 160 ، 194.

ديوان الرسائل » ببيان ما ينبغي أن يتزود به من يعمل في ديوان الرسائل من العلوم والمعارف والأخلاق[35].

ومن هذه الكتب أيضًا كتاب « معالم الكتابة ومغانم الإصابة » لعبدالرحيم بن علي ابن الحسن بن شيث[36]. ويعرض ضياء الدين بن الأثير ت 637 هـ في مقدمة كتابيه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» و « الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور» لجوانب الثقافة التي يحتاج إليها الكاتب[37].

---

(35) يقول أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي عن سبب تأليفه لهذا الكتاب أنه رأى المصنفين قد « أهملوا الكلام على الكتابة ... التي هي كتابة حضرة الملك المشتملة على الإنشاء إلى ملوك الدول والمكاتبة عنه إلى من قل من الأمم وجل ، وكيف يجب أن يكون متوليها وما يخصه من الأخلاق والأدوات ، وما يجب أن يكون فيه من الفضائل ، وأن يجتنبه من القبائح والرذائل ، وكيف ينبغي أن تكون أمور أتباعه ومعينيه ، وأي الحالات ينبغي أن يكون عليها ديوان الرسائل الذي يتولاه وينظر فيه » ... ولذلك فقد ألف هذا الكتاب ليسد النقص في مؤلفات السابقين. راجع قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي. مطبعة الواعظ بمصر 1905م ، صفحات : 90 – 92. ومن جوانب الثقافة التي يرى ابن الصيرفي ضرورة إلمام الكاتب بها : أن يكون الكاتب حافظًا لكتاب الله تعالى أو قيما بقراءته إذا قرأه ، ويكون حافظًا لأخبار الرسول والأئمة من ذريته قيما بها أو بأكثرها ، راويًا لأخبار الملوك وأيام العرب ، ووقائعهم وأخبار العجم وسائر الأمم ، وما جرى في أيام الملوك الماضيين ، وما حدث من وزرائهم وكتابهم وقوادهم وأخبارهم ، وأن يكون لديه شيء من معرفة الحلال والحرام ، وأن يكون حافظًا للأشعار ، راويًا للكثير منها ، وأن يكون قد قرأ من العربية والتصريف واللغة أكثرها ، وأن يكون حافظًا للكثير من رسائل البلغاء والمتقدمين. راجع قانون ديوان الرسائل: 102/ 103 ، 118 ، 119. وراجع ما ذكره عن صفات الكُتاب ص 100/ 101/ 104/ 105/ 119/ 126 – 130.

(36) ذكر ابن شاكر الكتبي أن وفاة ابن شيث كانت سنة 625هـ. راجع فوات الوفيات : 560/1 ويهتم هذا الكتاب ببيان صفات الكاتب وأخلاقه (ص 9–32) وبيان ثقافته العملية (ص 32–58) وبيان ثقافته اللغوية (ص 58 إلى نهاية الكتاب). راجع معالم الكتابة ومغانم الإصابة لابن شيث. عني بنشره الخوري قسطنطين باشا المخلصي ، المطبعة الأدبية ، بيروت : 1913.

(37) يرى ضياء الدين بن الأثير أن الكاتب « يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون » ، وذلك لأنه مؤهل لأن يهيم في كل واد ، فيحتاج أن يتعلق بكل فن » ، ومن ثم يرى أن أهم جوانب الثقافة التي يحتاج إليها الكاتب هي : معرفة علم العربية من النحو والتصريف ، معرفة ما يحتاج إليه من اللغة ، وهو المتداول المألوف في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب ولا المستكره المعيب ، ومعرفة أمثال العرب وأيامهم ، والاطلاع على تأليفات المتقدمين من أرباب

كما يعرض شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي ت 725هـ في مقدمـــة كتابـــــه « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » لمكونات الكاتب الثقافية[38]. كما يذكر نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي ت 737هـ في مقدمة « جوهر

هذه الصناعة المنظوم منها والمنثور ، والتحفظ للكثير من ذلك ومعرفة الأحكام السلطانية ، وحفظ القرآن الكريم ، وحفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم. راجع المثل السائر تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد – مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1358 – 1939. جـ/ 1 ص : 7–31. وراجع أيضًا الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور تحقيق دكتور مصطفى جواد ، دكتور جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي – 1956م – 1375هـ. ص : 7 – 19. وجدير بالذكر أن ابن الأثير قد أشار في مقدمة كتابه « الوشي المرقوم في حل المنظوم » أن خلاصة ما يحتاج إليه الكاتب ثلاثة أشياء : **الأول :** حفظ القرآن الكريم. **الثاني :** حفظ ما ينبغي له حفظه من الأخبار النبوية. **والثالث:** حفظ الأشعار. راجع الوشي المرقوم في حل المنظوم لابن الأثير ص (5–7). طبع بمطبعة ثمرات الفنون ببيروت 1298م.

(38) قسم شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي ما يحتاج إليه الكاتب إلى قسمين :

أولاً : أمور كلية : « لابد للمترشح لهذه الصناعة من التصدي للاطلاع عليها ، والإكباب على مطالعتها والاستكثار منها لينفق من تلك المواد ، وليسلك في الوصول إلى تلك الصناعة بذلك الجواد ، وإلا فليعلم أنه في واد والكتابة في واد ». ومن هذه الأمور : حفظ كتاب الله تعالى ، والاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية، وقراءة كتب النحو واللغة ، وحفظ خطب البلغاء ، والنظر في أيام العرب ووقائعهم ، والنظر في التواريخ ومعرفة أخبار الدول ، وحفظ أشعار العرب ومطالعة شروحها ، واستكشاف غوامضها ، والاطلاع على أصول اللغة وشواهدها ، وحفظ جانب من شعر المحدثين ، والنظر في رسائل المتقدمين دون حفظها ، والنظر في كتب الأمثال الواردة عن العرب نظمًا ونثرًا.

ثانيًا : أمور خاصة : وهي « التي تزيد معرفتها قدره ويزين العلم بها نظمه ونثره ، فإنها من المكملات لهذا الفن وإن لم يضطر إليها ذو الذهن الثاقب والطبع السليم والقريحة المطاوعة والفكرة المنقحة والبديهة المجيبة والروية المتصرفة ، لكن العالم بها متمكن من أزمة المعاني يقول عن علم ويتصرف عن معرفة ، وينتقد بحجة ويتخير بدليل ويستحسن ببرهان ويصوغ الكلام بترتيب. فمن ذلك علم المعاني والبيان والبديع والكتب المؤلفة في إعجاز الكتاب العزيز».

راجع ص : 2–12 من حسن التوسل إلى صناعة الترسل. طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة 1181م. وجدير بالإشارة أن النويري قد تابع شهاب الدين الحلبي في كل ما ذكره من مكونات ثقافة الكاتب. راجع نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري ت 733هـ. ط1 دار الكتب المصرية 1347 – 1929م الجزء السابع ص 27 – 35.

الكنز» ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من العلوم والفضائل ليعد كاتبًا[39]. ويأتي القلقشندي ت 821هـ ليتوج جهود المصنفين السابقين ، فيؤلف كتابه « صبح الأعشى » الذي يعد أكبر موسوعة عنيت بالكاتب وثقافته[40].

ومن خلال المصنفات السابقة[41] يمكن أن نميز أربعة أنواع من الثقافات التي يحتاج إليها الكاتب وهي : الثقافة الإسلامية ، الثقافة العربية ، الثقافة الأجنبية ، الثقافة العامة ، ونفصل ذلك فيما يلي :

أولاً : الثقافة الإسلامية :

وتتمثل هذه الثقافة في الروافد الآتية :

أ ــ حفظ القرآن الكريم والاطلاع على كتب التفسير :

---

(39) يرى صاحب جوهر الكنز أنه ليس للكاتب « وصول إلى بلوغ مقاصده من مخاطبة كل أحد بما يليق به ، والتمكن في صناعته إلا إذا استعد لذلك بتحصيل أصول يرجع إليها منها : حفظ كتاب الله تعالى ، حفظ جملة من الأحاديث النبوية ، معرفة النحو ، معرفة اللغة العربية الحوشية وغير الحوشية ، معرفة جملة من الفقه ، الاطلاع على ما قاله المفسرون للقرآن ، الاطلاع على جملة من التاريخ ، معرفة الأحكام السلطانية ، الاطلاع على صناعات غالب أرباب المعاشات. راجع جوهر الكنز ص 30 – 32 بتحقيق دكتور محمد زغلول سلام طبع منشأة المعارف بالإسكندرية 1980م.

(40) يرى القلقشندي أن كاتب الإنشاء ، وإن كان يحتاج إلى التعلق بجميع العلوم والخوض في سائر الفنون ، فليس احتياجه إلى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج إليه **بطريق الذات :** وهي مواد الإنشاء التي يستمد منها ويقتبس من مقاصدها ، كاللغة التي منها استمداد الألفاظ ، والنحو الذي به استقامة الكلام ، وعلوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع التي هي مناط التحقيق والتحسين والتقبيح ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى. ومنها ما يحتاج إليه **بطريق العرض** كالطب والهندسة والهيئة ونحوها من العلوم ، راجع صبح الأعشى 146/1. ثم فصل القلقشندي ما أجمله في أجزاء الكتاب المختلفة. وبالإضافة إلى هذه الثقافة العلمية ، فقد اهتم أيضًا بالجانب في صنعة الكتابة ، فتكلم عن الخط ومقوماته وعن رسوم المكاتبات المختلفة.

(41) لم نقصد في الصفحات السابقة إلى استقصاء كل المؤلفات التي تحدثت عن الكاتب وثقافته ، ولكننا عرضنا لأهم هذه المؤلفات فقط . وذلك أننا لو رجعنا إلى المصادر التي اعتمد عليها صبح الأعشى لوجدنا العديد من هذه المؤلفات غير التي ذكرناها. كما يشير صاحب كشف الظنون إلى بعض الكتب التي اهتمت بأدب الكاتب ككتاب أدب الكاتب لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ت 328هـ ، وكتاب أدب الكاتب لابن دُريد ت 321هـ. وكتاب أدب الكاتب لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت 764هـ. راجع كشف الظنون 48/1.

يمثل القرآن الكريم قمة البلاغة والفصاحة المعجزة ، ولهذا كان من الضروري للكاتب أن يبدأ بحفظه « ومداومة قراءته ، وملازمة درسه ، وتدبر معانيه ، حتى لا يزال مصورًا في فكره ، دائرًا على لسانه ، ممثلاً في قلبه ، ذاكرًا له في كل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد به فيها ، ويفتقر إلى إقامة الأدلة القاطعة به عليها ، وكفى بذلك معينًا له في قصده ، ومغنيًا له عن غيره ، قال الله تعالى : (ما فرَّطنا في الكتاب من شيء) سورة الأنعام : 38 [42].

ويمكن القول بأن تمثل الكاتب لأسلوب القرآن الكريم ، وعكوفه على تدبر نظمه وإعجازه ، ووقوفه على طرائق التعبير القرآني – ينعكس أثره على أسلوب الكاتب من ناحيتين :

<u>الأولى :</u> أن يضمن الكلام بعض آي القرآن الكريم. وينقسم إلى قسمين[43] :

<u>أحدهما :</u> الاستشهاد بالقرآن الكريم ، وهو أقلها وقوعًا في الكلام ودورانًا في الاستعمال : وهو أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن الكريم وينبه عليه ، <u>ثانيهما :</u> الاقتباس وهو أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن الكريم ولا ينبه عليه.

<u>الثانية :</u> أن ينعكس ذلك على طريقة استخدام الكاتب للألفاظ من حيث جزالتها وسهولتها وبعدها عن التوعر والوحشي ، ومن حيث نظمها وصياغتها ، بحيث لا يستطيع أحد أن يغير من أماكنها ، وإلا اختل المعنى الذي يعبر عنه ، مما يعطي أكبر قدر ممكن من الإيحاء بالإمتاع العقلي والنفسي ، فإذا عرفه الكاتب « مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن اتخذه بحرًا يستخرج منه الدرر والجواهر ، ويودعها مطاوي كلامه ... وكفى بالقرآن وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام »[44].

---

(42) حسن التوسل : 2 وراجع نهاية الأرب : 28/7 وصبح الأعشى : 189/1.
(43) صبح الأعشى : 1/ 194 ، 197.
(44) المثل السائر : 1/ 30/ 31.

ومما يعين على إدراك أسرار الإعجاز القرآني بكافة جوانبه ، ويساعد في تفهمه ودرسه – اطلاع الكاتب « على ما قاله المفسرون للكتاب العزيز ، من شرح الآيات المحكمات ، وأسباب نزولها ، وما في الكتاب العزيز من الأمر والنهي ، والأحكام ، والمعاني ، والإعجاز ، والإيجاز ، والفصاحة ، والبلاغة ، والبيان ، والبديع ، وأخبار الأولين والآخرين ، وشرائع الأمم السالفة ، والوعد والوعيد ، والدنيا وأحوالها ، والآخرة وأهوالها »[45].

ولعل الغاية الكبرى من حفظ القرآن الكريم والاطلاع على كتب التفسير هي زيادة الحس التذوقي لدى الكاتب ، لتمثله ذخائر البلاغة في كتاب الله ، ومحاولته استبطان أسرار الجمال فيه.

ب – حفظ جملة من الأحاديث النبوية :

إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أفصح العرب أجمعين ، وتتمثل في أحاديثه وخطبه قمة الأداء البلاغي فضلاً عما تعكسه مدلولات تاريخية وإسلامية. ومن هنا نظر المصنفون إلى ضرورة « الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية – صلوات الله وسلامه على قائلها – وخصوصًا في السير والمغازي والأحكام ، والنظر في معانيها وغريبها ، وفصاحتها ، وفقه ما لا بد من معرفته من أحكامها ، لينفق منها (الكاتب) عن سعة ، ويستشهد بكل شيء في موضعه ، ويحتج بمكان الحجة ، ويستدل بموضع الدليل ... والفصاحة إذا طلبت غايتها فهي بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم»[46].

ويرى القلقشندي أنه « كما يحتاج الكاتب إلى حفظ الأحاديث والآثار بطريق الذات للاستشهاد بها ، والاقتباس من معانيها ... كذلك يحتاج إلى المعرفة بأنواع الحديث ، وأقسامها ، كالصحيح والحَسَن والمرسل والمرفوع

---

(45) جوهر الكنز : 31.

(46) حسن التوسل : 4 وراجع نهاية الأرب : 30/7 وصبح الأعشى : 202/1.

والمسـند ، والمتصـل ، والمنقطـع ، ونحـو ذلـك ، وكـذلك المعرفـة بأسـماء الرجال والمشاهير من المحدثين »[47].

ولاشك أن أهمية الإلمام بالأحاديث النبوية لا تنحصر في جانب الاستشهاد أو الاقتباس فقط ؛ لأن لأحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – جوانب أرحب ، فهي تمثل مع القرآن الكريم الدعامتين الأساسيتين في ترسيخ الحس البلاغي ، وتربية الذوق الفني لدى الكاتب ، لما يمثلان من قمة الإبداع البلاغي والفني في أسهل صورة وأمتعها في نفس الوقت. فإذا تثقف الكاتب بهاتين الدعامتين ظهر أثرهما على أسلوبه الأدبي ، لا من حيث الاقتباس أو الاستشهاد فحسب ، ولكن من حيث القدرة على تصريف الكلم في وجوه متعددة.

جـ - معرفة جملة من الفقه [48]:

ويترتب على حفظ الكاتب للقرآن الكريم ولأحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – واطلاعه على كتب التفسير ، وقوفه على جملة من الأحكام« يعرف بها الفرض والواجب والسنة والمندوب والحرام والحلال ، والمكروه ، واختلاف العلماء ومذاهبهم في الأقوال وترجيح الأحسن منها ، والمعمول عليه في الفتيا والأحكام ، إذ الكاتب محتاج إلى ذلك في جميع كلامه ، ولا يستغني عن شيء منه »[49].

---

(47) صبح الأعشى : 1/ 208/ 209.

(48) يقول ابن خلدون : «الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة ، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه» راجع مقدمة ابن خلدون/ 445. وراجع ما ذكره ابن قتيبة عن ضرورة النظر في جمل من الفقه ، ومعرفة أصوله من حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحابته. أدب الكاتب: ص 10–11 وراجع أيضًا رد القلقشندي على ابن قتيبة في صبح الأعشى : 203/1.

(49) جوهر الكنز : 31 ويلحق بالفقه معرفة الكاتب لأحكام الفرائض وطرق حسابها. يقول ابن خلدون عن علم الفرائض : «هو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة ... وهو فن شريف لجمعه بين المعقول والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثات بوجوه صحيحة يقينية عندما تشكل الحظوظ على القاسمين». راجع مقدمة ابن خلدون : 451 ، 452.

د – معرفة الأحكام السلطانية :

يلحق بإلمام الكاتب بالثقافة الإسلامية ضرورة معرفته بالأحكام السلطانية ، وهي « السياسات التي تقاس على الأحكام الشرعية ، لأن كل حكم لم يرد فيه نص ، أو لم يَذكر في فروع الفقه ، فإنه سياسة تقاس على حكم من الأحكام الشرعية باجتهاد أولي الأمر في إناطة أحكامهم بالقواعد الشرعية »[50].

ويحتاج الكاتب إلى هذه الأحكام في تقليدات الملوك والأمراء والقضاء والمحتسبين ومن يجري مجراهم[51]. فإذا عرف « حكم كل ولاية من هذه الولايات ، وما يجب توليتها ، وما يعتبر في متوليها من الشروط ، وما يلزمه من الأمور إذا تولاها ، وما ينافي أمورها ، ويجانب أحوالها ، عرف ما يأتي من ذلك ، وما يذر ، فيكون ما ينشئه من البيعات ، والعهود ، والتقاليد ، والتفاويض ، والتواقيع ، وما يجري مجرى ذلك جاريًا منه على السداد ماشيًا على القواعد الشرعية ، التي من حاد عنها ضل ، ومن سلك خلاف طريقها زل »[52].

---

(50) جوهر الكنز : 32.

(51) وقد أورد الماوردي في كتابه « الأحكام السلطانية » طائفة من هذه الأحكام التي تتعلق بالإمامة والوزارة ، وتقليد الإمارة على البلاد ، وتقليد الإمارة على الجهاد ، والولاية على ضروب المصالح ، وولاية القضاء ، وولاية المظالم ، والولاية على الحج ، والولاية على الصدقات ، وقسم الفيء والغنيمة ، ووضع الجزية والخراج ، ومعرفة ما تختلف أحكامه من البلاد ، وإحياء الموات واستخراج المياه ، والحمى والأوقاف ، وأحكام الإقطاع ، وأحكام الدواوين ، وأحكام الجرائم ، وأحكام الحسبة ». راجع الأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي – نشر دار الكتب العلمية – بيروت 1398هـ – 1978م.

(52) صبح الأعشى : 6/2. ويضرب القلقشندي مثالاً لتقليد الخليفة فيقول : « فإن كتب بيعة أو عهدًا لخليفة ، تعرض إلى وجوب القيام بأمر الخلافة ، ونصب إمام للناس يقوم بأمرهم ، وتعرض إلى اجتماع شروط الخلافة في المولى ، وأنه أحق بها من غيره ، ثم إن كانت بيعة نشأت عن موت خليفة ، تعرض لذكر الخليفة الميت ، وما كان عليه أمره من القيام بأعباء الخلافة ، وأنه درج بالوفاة ، وأن المولى استحقها من بعده دون غيره ، وإن كانت ناشئة عن خلع خليفة تعرض للسبب الموجب لخلعه : من الخروج عن سنن الطريق ، والعدول عن منهج الحق ، ونحو ذلك مما يوجب الخلع لتصح ولاية الثاني ، وإن كان عهدًا تعرض فيه إلى عهد الخليفة السابق إليه بالخلافة ، وأنه أصاب في ذلك الفرض وجرى على سواء الصراط ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى من سائر الولايات». راجع صبح الأعشى : 6/2.

وإذا كان الغرض من معرفة الكاتب للأحكام السلطانية هو أن « يعرف بها كيف يخلص قلمه على حكم الشريعة المطهرة »[53] ؛ فمن الطبيعي أن تكثر الاستدلالات الفقهية، ويكون هناك شبهة في أن يخرج الكتاب عن طريق البلاغة إلى ساحة الفقه ، ولهذا وجدنا ابن الأثير ينبه على ضرورة الاحتراز من الانزلاق وراء الاستدلالات الفقهية ، وتنحية البلاغة عن مكان الصدارة ، فيقول : « ولسنا نعني بهذا القول ، أن يكون الكتاب مقصورًا على فقه محض ، فقط ، لأنا لو أردنا ذلك لما كنا نحتاج فيه إلى كَتْب كتاب بلاغي ، بل كنا نقتصر على إرسال مصنف من مصنفات الفقه ، عوضًا عن الكتاب ، وإنما قصدنا أن يكون الكتاب الذي يُكتب في هذا المعنى مشتملاً على الترغيب والترهيب ، والمسامحة في موضع والمحاقة في موضع ، مشحونًا ذلك بالنكت الشرعية المبرزة في قوالب البلاغة والفصاحة »[54].

وهكذا تتجمع الروافد المتعددة للثقافة الإسلامية ، لتصب في أعماق الكاتب فتزيده فكرًا وفنًا ، فتسمو نفسه ، ويرقى فنه.

ثانيًا : الثقافة العربية :

وتتمثل هذه الثقافة في الروافد الآتية :

أ ــ معرفة علم العربية من النحو والتصريف :

أما علم النحو ، فإنه « في علم البيان بمنزلة أبجد في تعليم الخط وهو أول ما ينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ، ليأمن معرة اللحن »[55]. ومن ثم ، فإن الجهل بالنحو يخرج بالمعاني إلى غير المراد بها ، ولهذا يقول

---

(53) حسن التوسل : 11.
(54) المثل السائر : 30/1.
(55) المصدر نفسه : 10/1.

عبدالقاهر الجرجاني : « إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وإن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه »[56].

فالنحو إذن هو الذي يكشف لنا عن مكنونات الألفاظ الشعورية والجمالية ، وهو المقياس الذي يقاس به قدرتها التعبيرية عن الأغراض المختلفة ، ومن هنا يبرز حاجة الكاتب إلى معرفته والحرص على تحصيله حتى « يجعله دأبه ، ليرتسم في فكره ، ويدور على لسانه ، وينطلق به عقال قلمه وكلمه ، ويزول به الوهم عن سجيته ، ويكون على بصيرة من عبارته ، فإنه لو أتى من البلاغة بأتم ما يكون ولحن ذهبت محاسن ما أتى به ، وانهدمت طبقة كلامه ، وألغى جميع ما يحسنه ، ووقف به عند ما جهله »[57].

ولكي يقوم النحو بأداء وظيفته في عملية الإبداع الأدبي ، يجب على ألا تقف معرفة الكاتب بالنحو عند مجرد وعيه بالقوالب الموروثة ، وكيفية استخدامها في تقدير الإعراب ، وما يتبعه من خطأ الكلام أو سلامته فقط ، بل يتعدى ذلك إلى توظيف هذه القوالب للارتقاء ببلاغته عن طريق إدراكه لأسرار اللغة ونظامها الذي يتحكم فيه علم النحو[58].

<u>أما علم التصريف :</u> فيجب على الكاتب الإلمام به « ليعرف أصل الكلمة وزيادتها، وحذفها ، وإبدالها ، فيتصرف فيها بالجمع والتصغير والنسبة إليها وغير ذلك ؛ لأنه إذا أراد جمع الكلمة أو تصغيرها أو النسبة إليها ، ولم يعرف الأصل في

---

(56) دلائل الإعجاز : 36.
(57) حسن التوسل : 5 وراجع نهاية الأرب : 31/7 ، وصبح الأعشى : 168/1.
(58) راجع دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني : 67/66.

حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها ، ضل حينئذ عن السبيل ، ونشأ من ذلك مجال للعائب والطاعن »[59].

وكما أن الاهتمام بالنحو يجب ألا يقتصر على كونه قوالب جافة تهتم بأواخر الكلم ، وإنما يتعدى ذلك لمعرفة مدى إسهامها في الكشف عن أسرار الجمال في التعبير الأدبي ؛ فإنه يجب كذلك ألا يقتصر النظر إلى علم التصريف على ما يتضمنه من قواعد جافة ، تبحث في أصل الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها ، وكيفية جمعها وتصغيرها إلى غير ذلك من الأبواب ، وإنما يجب البحث عن مدلولات هذه الأبواب، ومكنوناتها التعبيرية التي تسهم في عملية الخلق الأدبي.

فكما أن الكلمة تنتظم طبقًا لقواعد النحو في سياق معين يعطي مدلولاً معينًا ، فإن هذه الكلمة في حد ذاتها ، طبقًا للقواعد الصرفية – من حيث زيادة عدد حروفها عن أصلها أو تصغيرها أو نسبها إلى غير ذلك – تعطي انعكاسات معينة ترتبط بانعكاسات الكلمات الأخرى لتفسر مدلول هذا السياق بما يتضمنه من قدرات تعبيرية ، يوظفها الكاتب أو الشاعر لخدمة عملية الخلق الأدبي.

فلا شك أن الكاتب أو الشاعر إذا استعمل مثلاً كلمة تزيد في عدد حروفها عن حروفها الأصلية[60] ، فإنه يبغي من وراء تكوينها الجديد أن يخلق لقدرتها التعبيرية مجالاً أرحب وأعمق ، تنعكس إشعاعاته على السياق العام. يقول إبراهيم بن المدبر : « وإذا حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت ، والكلمة بعياره إذا سنحت ، فربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبتَ أنا فاعل أحسن من أنا أفعل ، واستفعلت أحلى من فعلت »[61].

---

(59) صبح الأعشى : 177/1.

(60) كأن يَعْدل الكاتب مثلاً عن قول قتَل على وزن فعَل إلى قوله قَتَّل على وزن فَعَّل ، لأنه يريد أن يبين حالة الشدة والقسوة في عملية القتل أو تكراره وتعدده.

(61) الرسالة العذراء : 29 وراجع العقد الفريد : 186/4.

فعلم التصريف إذن يقوم بدور أساسي في خلق العمل الأدبي ، بما يتيحه للكاتب من رهافة الحس البلاغي ، في اختيار الألفاظ المناسبة ذات الطاقات التعبيرية المختلفة(62).

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن علم التصريف يتكامل مع علم النحو في كشف أسرار الجمال في التعبير الأدبي ، فالكلمات لا يمكن أن تظهر مكنوناتها الشعورية والجمالية إلا في سياق استطاع كاتبه أن يضعه الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، ولا يمكن الكشف عن بعض جوانب هذه المكونات الشعورية والجمالية إلا بالرجوع إلى علم التصريف.

ب – معرفة ما يحتاج إليه من اللغة :

تتحدد مكانة الكاتب الأدبية بقدرته على تطويع الكلمات للتعبير عن أفكاره ، وإبرازها في معرض موشى بشتى ألوان الجمال ، ولكي يصل الكاتب إلى هذه المكانة يجب أن يكون ذا رصيد لغوي كبير ، ليستمد منه ما يريد من الألفاظ المناسبة لمعانيه .

ولقد اتجهت نظرة المصنفين إلى أهمية الجانب اللغوي في ثقافة الكاتب ، فرأوا أن حصيلته من الألفاظ تمكنه من سهولة التعبير ، يقول القلقشندي : «لا مرية في أن اللغة هي رأس مال الكاتب ، وأس كلامه ، وكنز إنفاقه ، من حيث إن الألفاظ قوالب للمعاني التي يقع التصرف فيها بالكتابة ، وحينئذ يحتاج إلى طول الباع فيها ، وسعة الخطو ، ومعرفة بسائطها من الأسماء والأفعال والحروف ، والتصرف في وجوه دلالتها

---

(62) يقول دكتور أحمد بدوي : «إن ما في اللغة العربية من إبدال وإعلال دليل على ميل الذوق العربي إلى التخفيف ، واختيار الأسهل في نطق الكلمة ، حتى إن الكلمات الثقيلة على اللسان صارت نادرة تجري على ألسنة الأعراب الجفاة غالبًا». راجع أسس النقد الأدبي عند العرب : 458 ولاشك أن إلمام الكاتب بهذه الأبواب سيتيح له اختيار الكلمات السهلة التي تأنس لها الأذن مما يزيد في قدرته البلاغية على التأثير.

الظـاهرة والخفيــة ، ليقتــدر بــذلك علــى اســتعمالها فــي محالهــا ، ووضــعها فــي مواضــعها اللائقــة بهــا ، ويجــد الســبيل إلــى التوســع فــي العبــارة عــن الصــور القائمــة فــي نفســه ؛ فيتســع عليــه نطــاق النطــق ، ويفســح لــه المجــال فــي العبــارة ، وينفــتح لــه الأوصــاف فيمــا يحتــاج إلــى وصــفه ، وتــدعو الضــرورة إلــى نعتــه ، فيســتظهر علــى مــا ينشــيه ، ويحــيط علمًــا بمــا يــذره ويأتيــه ، إذ المعــاني ، وإن كانــت كامنــة فــي نفــس المعبــر عنهــا ، فإنمــا يقــوي علــى إبرازهــا وإبانتهــا مــن تــوفر حظــه مــن الألفــاظ ، واقتــداره علــى التصــرف فيهــا ، ليــأمن تــداخلها وتكريرها المهجنين للمعاني »[63].

<u>وإزاء هذه النظرة إلى أهمية اللغة رأى المصنفون أن الكاتب يحتاج إلى معرفة :</u>

1 – الفصيح من الألفاظ :

تعتبر فصاحة الكلمة شرطًا أساسيًا في بناء العمل الأدبي ، إذ الغاية الأسمى لأي كاتب هي تحقيق الإمتاع العقلي والنفسي للقارئ ، ولا شك أن قدرة الكاتب على اختيار الكلمات الفصيحة ، وطريقة تطويعها في بناء العمل الأدبي هي السبيل الوحيد لتحقيق هذه الغاية[64].

---

(63) صبح الأعشى : 150/1.

(64) وذلك لأن الكلمة المفردة لا قيمة لها إلا بما تكونه مع غيرها من علاقات تكون في مجموعها العمل الأدبي. يقول ابن الأثير : « واعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها لأن التركيب أعسر وأشق ، ألا ترى أن ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ، ومع ذلك ، فإنه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه ، وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب ... ومما يشهد لذلك ويؤيده أنك ترى اللفظة تروقك في كلام ، ثم تراها في كلام فتكرهها ، فهذا ينكره من لم يذق طعم الفصاحة ، ولا عرف أسرار الألفاظ في تركيبها وانفرادها » المثل السائر: 145/1. وراجع أيضًا دلائل الإعجاز للجرجاني: 46. وبناء على ذلك يمكن القول بأنه إذا كانت الكلمات فصيحة ، ونجح الكاتب في تكوين علاقات فيما بينها ،

ولقد تنبه النقاد القدماء إلى ما يجب أن تكون عليه لغة العمل الأدبي ، فنجد الجاحظ – على سبيل المثال – ينادي باستخدام الألفاظ البعيدة عن الوحشي والتوعر والعامية. فيقول : « وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميًا ، وساقطًا ، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبًا وحشيًا »(65). كما يرى أن لغة الكتب يجب أن تكون واضحة مفهومة(66).

وما ذهب إليه الجاحظ يدور في محوره حول فصاحة الكلمة ، فالفصاحة تعني الوضوح والبيان ، « والكلام الفصيح هو الظاهر البين ، وأعني بالظاهر البين : أن تكون ألفاظه مفهومة لا تحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة »(67).

ولاشك أن توفر صفات الوضوح والبيان في العمل الأدبي – مما يضفي عليه مزيدًا من الطاقات التعبيرية والجمالية ، وكما قال ابن الأثير : « فالفصيح من الألفاظ هو الحسن»(68). ولعل صفة الحسن هنا هي خير ما يعبر به عن قدرة العمل الأدبي على الإمتاع العقلي والنفسي. كما يمكن القول بأن وصف العمل الأدبي بالبلاغة لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال توفر شروط الفصاحة لألفاظه التي تكون في مجموعها هذا العمل(69).

بحيث تكون هذه العلاقات خالية من التنافر والتعقيد اللفظي والمعنوي ، حقق العمل الأدبي ما يسمو إليه من إمتاع عقلي ونفسي.

(65) البيان والتبيين : 144/1 وراجع أيضًا صحيفة بشر بن المعتمر ودعوته إلى ترك التوعر والوحشي والغريب في البيان والتبيين : 136/1.

(66) الحيوان : 89/1 ، 90.

(67) المثل السائر : 65/1.

(68) المصدر نفسه : 66/1.

(69) راجع في الفرق بين الفصاحة والبلاغة . دلائل الإعجاز للجرجاني : 53، 54 ، سر الفصاحة لابن سنان: 49، 50 ، المثل السائر لابن الأثير : 70/1. ويجدر بالذكر أن أهم شروط الفصاحة التي يجب أن تتوافر في الكلمة هي :

2 – الفروع المتشعبة في المعاني المختلفة :

إن استيعاب الكاتب لخصائص اللغة ، وما تتميز به من دقائق في التعبير وقدرة على الأداء من أهم المكونات الأساسية لرصيده اللغوي ؛ وذلك أن الكاتب ، إذا كان يجهل أسرار لغته وقدراتها التعبيرية ، فإنه لن يستطيع أن يصل بعمله الأدبي إلى مرحلة التأثير في القارئ.

ولهذا رأى المصنفون ضرورة إلمام الكاتب بكثير من هذه الخصائص ، يقول القلقشندي عنهما : « وهي فروع كثيرة متشعبة الأرجاء ومتباينة المقاصد لا يكاد يجمعها مصنف ، وإن كان الكاتب لا يستغني عن شيء منها ولا يحسن به تركه »[70].

---

1 – أن يكون تأليف الكلمة من حروف متباعدة المخارج. راجع جمهرة اللغة لابن دريد : 9/1 ، 11، 12. سر صناعة الإعراب لابن جني : 75/1. سر الفصاحة لابن سنان: 54، 55. المثل السائر: 152/1 – 154. المزهر للسيوطي : 193/1 – 195.

2 – خلوص الكلمة من الكراهة في السمع : راجع سر الفصاحة : 56/55.

3 – أن تكون الكلمة غير متوعرة وغير وحشية. راجع سر الفصاحة: 56–63. المثل السائر : 155/1–163. المزهر للسيوطي : 186/1 – 188.

4 – أن تكون الكلمة غير ساقطة وغير عامية. راجع سر الفصاحة: 63، المثل السائر : 180/1–182. المزهر للسيوطي : 190/1–191.

5 – أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة. راجع البيان والتبيين: 161/1/ 162. وسر الفصاحة: 67–74. المثل السائر: 155/1. الصناعتين : 149. المزهر: 188/1–189. الرسالة العذراء : 18–20.

6 – ألا تكون الكلمة مشتركة بين معنيين أحدهما يكره ذكره. راجع المثل السائر: 185/1.

7 – أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف. سر الفصاحة: 78. وراجع المثل السائر: 188/1–189. والمزهر: 199/1–200.

8 – خلوص الكلمة من تصغير التعظيم وتصغير الكلمة التي نطق بها العرب مصغرة. راجع سر الفصاحة : 79–81. وراجع المثل السائر: 155/1.

(70) صبح الأعشى : 153/1.

ومن أهم هذه الفروع : المترادف وهو « المتوارد من الألفاظ على مسمى واحد »[71] ، والمشترك وهو «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة »[72] والحقيقة والمجاز[73] ، والألفاظ المتضادة[74] ، والمقصور والممدود[75]، والمذكر والمؤنث[76]، والمهموز وغير المهموز[77] ، وما ورد عن كلام العرب مزدوجًا[78]، وما ورد من كلام العرب مثنى[79]، وما ورد في كلام العرب مورد الدعاء[80] ، وما ورد عن كلام العرب مرتبًا[81] ، وما تختلف أسماؤه مع المشابهة في المعنى[82] ، وما تختلف أسماؤه وأوصافه باختلاف أحواله[83]، ومعرفة الأصول التي تشتق منها الأسماء[84] ، وما نطقت به

---

(71) صبح الأعشى : 153/1. وراجع الصناعتين : 158 والمثل السائر: 19/1 وراجع ما أثير حول وجود المترادف في اللغة : الصاحبي لابن فارس : 114 – 116 ، المزهر للسيوطي: 402/1 – 406.

(72) راجع المزهر : 369/1 وراجع ما أثير حول وجود المشترك في اللغة : المثل السائر: 22/20/1 والصاحبي: 327، 328 والمزهر : 384/370/369/1.

(73) راجع صبح الأعشى : 154/1.

(74) راجع المصدر السابق والصحيفة السابقة.

(75) راجع أدب الكاتب لابن قتيبة : 231–237 وصبح الأعشى : 155/1.

(76) راجع أدب الكاتب : 225 – 235 وصبح الأعشى : 156/155/1.

(77) راجع أدب الكاتب : 281–282 وصبح الأعشى : 156/1.

(78) راجع أدب الكاتب : 37–40 وصبح الأعشى : 156/1 – 157.

(79) راجع أدب الكاتب : 36–37 وصبح الأعشى : 157/1.

(80) راجع أدب الكاتب : 40–42 وصبح الأعشى : 157/1.

(81) راجع صبح الأعشى : 157/1 وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي صفحات: 28–30 ، 49/ 50/ 55/ 61/ 65/ 67/ 79/ 81/ 84/ 105/ 106/ 121/ 123/ 128/ 133/ 136/ 140/ 142/ 165/ 166/ 173/ 183/ 187/ 189/ 197/ 202/ 208/ 217/ 219/ 245/ 255/ 264/ 273/ 276/ 281/ 282/ 288/ 290/ 310/ 311/ 313.

(82) صبح الأعشى : 158/1 وراجع فقه اللغة للثعالبي : 85/ 108/ 109/ 110.

(83) راجع الصاحبي لابن فارس : 118 ، 119 وفقه اللغة للثعالبي : 15 – 18 ، صبح الأعشى للقلقشندي: 158/1.

(84) راجع أدب الكاتب : 70–72. صبح الأعشى : 158/1.

العجم على وفق لغة العرب لعدم وجوده في لغتهم[85] ، وما اشتركت فيه العربية والفارسية[86] ، وما اضطرت العرب إلى تعريبه واستعماله في لغتهم من اللغة الأعجمية[87]، وما تعددت لغاته[88]، وما تلحن فيه العامة وتغيره عن موضعه[89].

3 – الألفاظ الكتابية :

وهي ألفاظ انتخبها الكتاب وانتقوها من اللغة ، استحسانًا لها ، وتمييزًا لها في الطلاوة والرشاقة على غيرها. قال الجاحظ : « ما رأيت أمثل طريقة من هؤلاء الكتاب فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرًا وحشيًا ، ولا ساقطًا سوقيًا».

وهذه الألفاظ أسماء وأفعال : فالأسماء كقولك في المدح : فلان غرة القبيلة وسنامها وذؤابتها ، وذروتها ، وهو نبعة أرومته ، وأبلق كتيبته .. ونحو ذلك. والأفعال كقولك في إصلاح الفاسد : أصلح الفاسد ، ولم الشعث ، ورأب الشعب ، وضم الشثر ، ورم الثلم ، وجمع الشتات ، وجبر الكسر ، وأسا الكَلْم ، ورقع الخرق ، ورتق الفتق ، وشعب الصدع»[90].

ومما لاشك فيه أن وصف طائفة من الألفاظ اللغوية بأنها « ألفاظ كتابية » دليل واضح على مدى عناية الكتاب بتهذيب اللغة وتنميقها بما يحقق لها رونقًا وجمالاً ، حتى صار ذلك التنميق ، وذلك الرونق والجمال ، سمة واضحة للغة الكتاب ، التي تنعكس إشعاعاتها على جوانب إنتاجهم الأدبي ، فتزيد القارئ إمتاعًا فكريًا وفنيًا.

---

(85) راجع فقه اللغة للثعالبي : 314–315 ، صبح الأعشى : 158/1.
(86) راجع فقه اللغة للثعالبي : 316 ، وصبح الأعشى : 158/1.
(87) راجع فقه اللغة للثعالبي : 316 – 318 ، وصبح الأعشى : 158/1 – 159.
(88) أدب الكاتب لابن قتيبة : 422 – 437 ، 442 – 451 ، 455 ، 461 – 465 ، وصبح الأعشى: 159/1.
(89) أدب الكاتب : 283 – 309 ، وصبح الأعشى : 161/1 – 162.
(90) صبح الأعشى : 163/162/1 ، وراجع البيان والتبيين : 137/1.

ومما تقدم يمكن القول : بأن وعي الكاتب بلغته ، وبأسرار الجمال فيها ، ومحاولته النفوذ إلى هذه الأسرار – يضفي على العمل الأدبي طاقات مشحونة بالإمتاع العقلي والنفسي ، فاختيار الكاتب للألفاظ ، وقدرته على تكوين علاقات فيما بينها ، بحيث تنبع هذه العلاقات من الفهم الدقيق لطبيعة الألفاظ ، وطاقاتها التعبيرية في مواضعها المختلفة – يزيد من قيمة إنتاجه الأدبي ، وقدرته على التأثير في القراء .

جـ - معرفة تاريخ العرب :

حفل التاريخ العربي بكثير من الأحداث الهامة التي تشكل جزءًا أساسيًا في تكوين الموروث الثقافي. فلو نظرنا إلى أيام العرب مثلاً ، لوجدنا فيها معينًا لا ينضب من الزاد الثقافي المتعدد الجوانب فهذه الأيام « تتنوع وتتشعب ، فمنها أيام فخار ، ومنها أيام محاربة ، ومنها أيام منافرة ، ومنها غير ذلك »[91].

ولقد ارتبطت هذه الأيام بالإضافة إلى مدلولها التاريخ بالموروث الشعري والنثري الذي خلّد بعضها ، ومن ثم كان الإلمام بها عنصرًا أساسيًا في تكوين ثقافة الكاتب. يقول شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي : إن الكاتب إذا لم يكن «عارفًا بكل يوم من هذه الأيام عالمًا بما جرى فيها ، لم يدر كيف يجيب عما يرد إليه من مثلها ، ولا ما يقول إذا سئل عنها ، وحسبه ذلك نقصًا في صناعته ، وقصورًا عما يتحتم عليه من معرفته ، وحسن الجواب منه عند السؤال عنه »[92].

ولاشك أن وعي الكاتب بالتاريخ يشكل عنصرًا جوهريًا في زيادة الحس البلاغي لديه ، فتخليد الشعر والنثر لبعض أحداث التاريخ يوقف الكاتب على مخزون راق من الثروة البلاغية ، كما أن استيعاب الكاتب لأحداث التاريخ يفتح أمامه مجالات أرحب للتعبير؛ « فإنه ما من واقعة وقعت فيما مضى إلا ويوشك أن

---

(91) المثل السائر : 24/1.

(92) حسن التوسل : 8 وراجع أيضًا صبح الأعشى : 72/1 ، 390 وكذلك نهاية الأرب : 32/7.

يقع فيما يأتي مثل ذلك ، فيستحب أن يستشهد الكاتب في الواقعة التي تحدث بنظيرها في الوقائع الماضية »[93]، ومن ثم يبدو جليًا ما يسهم به التاريخ – بجوانبه المتعددة – في فتح مجالات أرحب لقدرات الكاتب الإبداعية.

د – الاطلاع على الموروث الشعري والنثري :

ويتمثل ذلك في :

1 – معرفة أمثال العرب :

تعتبر أمثال العرب القدماء أو المولدين معينًا ذاخرًا بألوان متعددة من المدلولات التاريخية والاجتماعية والأدبية. وسواء صدر المثل عن أناس عاديين من الشعب ، أو عن طبقة الحكماء والخطباء والشعراء ، فإن المثل يعتبر ذا قيمة في حد ذاته ، لما يتميز به من تكثيف شديد للمعاني في حيز قليل من الكلمات ؛ ومن ثم كان الاستشهاد بالمثل يهدف أساسًا إلى المدلولات المكثفة فيه ، وقد لفت هذا نظر المصنفين قديمًا ، يقول ابن الأثير : « إن العرب لم تصنع الأمثال إلا لأسباب أوجبتها ، وحوادث اقتضتها ، فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء ، وليس في كلامهم أوجز منها ، ولا أشد اختصارًا »[94].

ولاشك أن هذا الإيجاز – بما يحمله من تكثيف للمعاني ، وبما يحمله أحيانًا من تأنق فني في التعبير[95] – يمثل قيمة بلاغية كبرى ، تنمي ملكة التذوق لدى

---

(93) جوهر الكنز : 32.

(94) المثل السائر : 23/1.

(95) يقول إبراهيم بن سيار النظام : « يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكتابة ، فهو نهاية في البلاغة ». راجع مجمع الأمثال للميداني : 6/1. ويقول الدكتور شوقي ضيف في حديثه عن الصنعة في الأمثال الجاهلية: « من ينعم النظر في الأمثال الجاهلية يجد طائفة منها توفر لها ضروب من القيم التصويرية والموسيقية ، ففيها أحيانًا تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل، وفيها أحيانًا أخرى صقل وسجع وتنميق ... وليس معنى ذلك أنهم حققوا لأمثالهم جميعًا ضروبًا مختلفة من هذه

الكاتب ، وتفتح أمامه مجالات أوسع للتعبير عما يدور بخلده. يقول القلقشندي : « فإذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الأمثال السائغ استعمالها ، انقادت إليه معانيها ، وسبقت إليه ألفاظها في وقت الاحتياج إلى نظائرها من الوقائع والأحوال فأودعها في مكانها ، واستشهد بها في موضعها »(96).

ويمكن القول بأن استعمال الكاتب للأمثال – سواء المثل العاري من أي صبغة جمالية أو المثل الذي توافرت فيه عناصر جمالية مختلفة – يوفر له قدرًا كبيرًا من البلاغة ، فإذا استعمل الكاتب المثل العاري من الجمال كان ذلك في غاية البلاغة ؛ لأنه اكتفى بمدلول المثل المكثف فيه ، فأضفى على كتابته صفة الإيجاز البليغ. أما إذا استعمل المثل الموشى بألوان الجمال كان ذلك في غاية البلاغة أيضًا ؛ لأنه بالإضافة إلى صفة الإيجاز ومدلول المثل المكثف ، ضمن كلامه عناصر الجمال المختلفة التي توافرت للمثل، فيزيد ذلك من رونق كتابته وبهائها . ولاشك أن طبيعة الموضوع الذي يعرضه الكاتب هي التي تحدد استعماله للأمثال.

2 – حفظ خطب البلغاء :

تُعد خطب البلغاء عاملاً مهمًا في رقي فكر الكاتب وفنه ؛ لما تتميز به من قدرات عالية في الأداء البلاغي بعنصريه الفكري والفني؛ فقد قيل لعبدالحميد بن يحيى الكاتب: « ما الذي مكنك من البلاغة ، وخرجك فيها. فقال : حفظ كلام

القيم ، فذلك إنما يظهر في القلة القليلة ، أما الكثرة فمغسولة من كل فن وبيان ، ومرجع ذلك إلى أن الأمثال تجرى فيها لغة التخاطب وأحاديث الناس اليومية ، وقلما نمق أصحاب هذه الأحاديث لغتهم ، أو حاولوا أن يوفروا لها ضروبًا من الجمال الفني البديع ، ومن ثم كان كثير من الأمثال الجاهلية يخلو خلوًا تامًا من المهارة البيانية ... ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الأصل في الأمثال أن لا تكون مصقولة ولا مصنوعة ، لأنها من لغة الشعب ، وقلما نمق الشعب في لغته ، غير أن كثيرًا ما تصدر الأمثال عن الطبقة الراقية في الأمة: طبقة الشعراء والخطباء ، فتحقق لها هذه الطبقة ضروبًا من عنايتها العامة بفنها». راجع الفن ومذاهبه في النثر العربي : 25/24 ، وراجع أيضًا عن خصائص الأمثال «كتاب الأمثال في النثر العربي القديم» للدكتور عبدالمجيد عابدين ، صفحات : 98 ، 115 ، 147 – 155 ، 177 – 183.

(96) صبح الأعشى : 302/301/1.

الأصلع! « يعني أمير المؤمنين عليًا »[97]، وحكى عن خالد بن عبدالله القسري : أنه قال : « حفظني أبي ألف خطبة ، ثم قال لي تناسها ، فتناسيتها ، فلم أر بعد ذلك شيئًا من الكلام إلا سهل عليَّ »[98].

ويعلق ابن طباطبا على ذلك بقوله : « فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه ، وتهذيبها لطبعه ، وتلقيحًا لذهنه ، ومادة لفصاحته ، وسببًا لبلاغته ولسنه وخطابته »[99].

فتمرس الكاتب على أفكار البلغاء وأسلوبهم الذي صوروا فيه هذه الأفكار – خير ما يعينه على صقل موهبته المبدعة ، فالخطب « من مستودعات سر البلاغة ، ومجامع الكلم ، بها تفاخرت العرب في مشاهدهم ، وبها نطقت الخلفاء والأمراء على منابرهم ، وبها يتميز الكلام ، وبها يخاطب الخاص والعام ، وعلى منوال الخطابة نُسجت الكتابة ، وعلى طريق الخطباء مشت الكتاب »[100].

ومن ثم ، فإن فنية الإبداع وأسراره لا يتوصل إليها إلا بالاطلاع على هذا الجانب المهم من الموروث الثقافي ، فإذا أكثر الكاتب من حفظ الخطب البليغة ، وعلم مقاصد الخطباء ، وموارد الفصاحة ، ومواقع البلاغة ، وعرف مصاقع الخطباء ، ومشاهيرهم ، اتسع له المجال في الكلام وسهلت عليه مستوعرات النثر ، وذللت له صعاب المعاني، وفاض على لسانه في وقت الحاجة ما كمن من ذلك بين ضلوعه ، فأودعه في نثره ، وضمنه في رسائله ، فاستغنى عن شغل الفكر في استنباط المعاني البديعة ، ومشقة التعب في تتبع الألفاظ الفصيحة التي لا تنهض فكرته بمثلها ولو جهد ، ولا يسمح خاطره بنظيرها ولو دأب»[101].

---

(97) الوزراء والكتاب : 82.
(98) عيار الشعر : 24.
(99) عيار الشعر : 24.
(100) صبح الأعشى : 210/1.
(101) المرجع السابق : 226/225/1.

ومن ثم يسهم هذا الجانب في تنمية الحس البلاغي لدى الكاتب بما يوفره من التعرف على إبداعات الآخرين ، وتحديد القيمة الفنية لها.

3 – النظر في رسائل المتقدمين :

لاشك أن القيمة الفنية لرسائل البلغاء المتقدمين لا تختلف عن القيمة الفنية لخطب البلغاء ، فالنظر في رسائل المتقدمين يعين على « تنقيح القريحة ، وإرشاد الخاطر ، وتسهيل الطرق ، والنسج على منوال المجيد ، والاقتداء بطريقة المحسن ، واستجلاء ما أنتجته القرائح من أبكار الأفكار ، واستجلاء ما روقته الخواطر من حياض الألفاظ ، واستدراك ما فات القاصر ، والاحتراز مما أظهره النقد ، ورد ما بهرجه السبك »[102].

غير أن المصنفين قد أجمعوا على الاكتفاء بالنظر فيها دون حفظها ، ويُرجع ابن الأثير ذلك إلى أمرين[103] :

<u>أحدهما :</u> أن لا يعلق بالخاطر شيء مما سبق إليه أرباب الكلام المنثور.

<u>الآخر :</u> أن المعنى في الكلام المنثور إذا نقل إلى معنى في كلام منثور فربما يبقى منه شيء من ألفاظ المعنى الأول فيما يصوغه الآخر من ألفاظه.

ويرى أن الباعث الأقوى على ذلك هو ما يراه من أن طريق الكتابة يجب أن يكون « طريق الاجتهاد لا طريق التقليد »[104].

---

(102) حسن التوسل : 9 ، وراجع نهاية الأرب : 34/7 ، صبح الأعشى : 227/1.
(103) الوشي المرقوم في حل المنظوم : 6.
(104) المصدر السابق : 7 وراجع أيضًا المثل السائر : 77/76/1.
ولكي يسد الباب أمام المعترضين يقول ابن الأثير : « فإن قيل : لم منعت من حفظ الكلام المنثور ، وحثثت على حفظ الأشعار ، والذي فعلت ذلك من أجله في أحد الطرفين يلزمك مثله في الطرف الآخر ، فالجواب عن ذلك ... (أن باعثي) على حفظ الأشعار دون الكلام المنثور كثرة الشعر واستغراقه للمعاني ، ولأن الأخذ منه أستر وأخفى ». الوشي المرقوم/ 7 ، وراجع المثل السائر: 85/1.

ونـرى أنــه سـواء اكتفـى الكاتــب بـالنظر فـي رسـائل المتقـدمين أم حفظهـا فـإن اطلاعـه عليهـا يحقـق لـه الوقـوف علـى ضـروب شـتى مـن أنمـاط التعبيـر ، ومــا تحتويــه هــذه الأنمــاط مــن عناصــر الجمــال ، فــ « كــلام العظمــاء المطبـوعين ودرس رسـائل المتقـدمين ، ممـا يفتـق اللسـان ، ويوسـع المنطـق ،

وبرغم وجاهة هذه التبريرات إلا أننا لا نسلم له بما ذهب إليه ، فلو نظرنا إلى كيفية حل الشعر – وهي إحدى استعمالات الشعر في صنعة الكتابة – لوجدنا أنها تدور في مضمونها حول نثر معاني الشعر أو توليدها بألفاظ جديدة ، ولا شك أن هذا الجانب ينسحب على الرسائل ، فالكاتب الذي يستحق اسم الكتابة ، يمكنه أن يتبع الطريقة نفسها في معاني هذه الرسائل وألفاظها ، ولو كان هذا العمل نقيصة أو غضا من مكانة الكاتب ، لانسحب هذا الحكم على حل الشعر ؛ لأننا إذا أطلقنا لفظ الخلق أو الإبداع الأدبي لانطبق ذلك على الشعر والنثر معًا ، فليس المطلوب من الشاعر أن يعاني وحده في عملية الإبداع ، ليعيش الناثر على ما يبدعه ، ولكنه يجب أن يعيش الناثر بنفسه عملية الإبداع الذاتية. وفي هذه الحالة يباح لكليهما أن يستمد من مخزونه الثقافي السابق سواء أكان شعرًا أم نثرًا.

ومن ثم ، يمكن القول بأنه ليس هناك ما يمنع الكاتب من حفظ رسائل المتقدمين ؛ لأن الخشية من تسرب معانيها أو ألفاظها إلى رسائله ليست الغاية التي يقوم على أساسها العمل الأدبي ، إذ الغاية هنا هي كيفية استخدام هذه الألفاظ والمعاني في خلق عمل أدبي جديد – ينسب فضل إبداعه إلى الكاتب نفسه لا إلى غيره، فقد يكون الكاتب مسبوقًا إلى هذا المعنى وهذه الألفاظ ، ولكن يبقى له فضيلة إخراجها في ثوب جديد. وصحيح أن ابن الأثير يهدف إلى غاية نبيلة : وهي رسم صورة للكاتب المثالي وما يجب أن يتبعه من ابتداع وتجديد ، ولكن لن يكون مثاليًا إلا إذا ظهرت مقدرته البلاغية في توظيف محصوله الثقافي بطريقة جديدة. أما السارق والمقلد ، فليس لهما مكان في دنيا الكتابة.

ولقد عبر ابن الأثير نفسه عن هذا المعنى في حديثه عن أركان الكتابة ، التي يجب أن تتوافر في كل كتاب بلاغي ذي شأن ، ومنها قوله: « أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلولقة بكثرة الاستعمال ، ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظًا غريبة ، فإن ذلك عيب فاحش ، بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكًا غريبًا ، يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس وهي مما في أيدي الناس ... وهذا الموضوع بعيد المنال كثير الإشكال يحتاج إلى لطف ذوق وشهامة خاطر ، وهو شبيه بالشيء الذي يستعمل ، وليس بالذي يستعمل : أي أن مفردات ألفاظه هي المستعملة المألوفة ، ولكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب». راجع المثل السائر : 73/1. فقدرة الكاتب على استخدام الألفاظ المتداولة بين الناس – ولكن في ثوب جديد – هي التي تحدد مكانته الأدبية. ولاشك أن مضمون هذا الكلام هو ما ذهبنا إليه ، فليس العبرة بحفظ رسائل المتقدمين ، ولكن بقدرة الكاتب على الاستفادة منها في عمل جديد ، يحسب فضله إليه لا إلى غيره.

ويشحذ الطبع ، ويستثير كوامنه إن كانت فيه سجية »[105]. ومن ثم تتفجر في نفسه طاقات التعبير التي تسمو بفنه .

4 – حفظ الأشعار :

ولكي تكتمل دائرة إلمام الكاتب بضروب الإبداع الأدبي ، يرى المصنفون ضرورة حفظه لأشعار العرب والمولدين والمحدثين.

« أما شعر العرب والمولدين فلما في ذلك من غزارة المواد ، وصحة الاستشهاد ، وكثرة النقل ، وصقل مرآة العقل ، وانتزاع الأمثال ، والأخذ في اختراع المعاني على أصح مثال ، والاطلاع على أصول اللغة وشواهدها ، والاضطلاع من نوادر العربية وشواردها »[106].

«وأما أشعار المحدثين ، فللطف مأخذهم ، ودوران الصناعة في كلامهم ، ودقة توليد المعاني في أشعارهم ، وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة والكتابة »[107].

ولاشك أن حفظ الكاتب لهذه الأشعار ، ووقوفه على ألفاظها ومعانيها ، وتفهمه لأسرار الجمال فيها – يعينه على خلق مجالات أعمق للتذوق وتنمية الحس البلاغي ، فينعكس أثر ذلك على قدراته الإبداعية ، وبجانب هذه الغاية يرى

---

(105) الرسالة العذراء : 31.

(106) حسن التوسل : 8 وراجع نهاية الأرب : 32/7 ، صبح الأعشى : 271/1.
ويرى أبو هلال العسكري أن « من أفضل فضائل الشعر أن ألفاظ اللغة إنما يؤخذ جزلها وفصيحها وغريبها من الشعر. ومن لم يكن راوية لأشعار العرب تبين النقص في صناعته. ومن ذلك أيضًا أن الشواهد تنزع من الشعر، ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول – صلى الله عليه وسلم – – شاهد ، وكذلك لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب ، وخزانة حكمتها ، ومستنبط آدابها ، ومستودع علومها ، فإذا كان ذلك كذلك فحاجة الكاتب والخطيب ،وكل متأدب بلغة العرب أو ناظر في علومها إليه ماسة ، وفاقته إلى روايته شديدة » الصناعتين : 138.

(107) حسن التوسل : 1 ، وراجع نهاية الأرب : 34/7 ، صبح الأعشى : 273/1.

المصنفون أن هناك ثلاثة طرق يستطيع الكاتب أن يستعمل فيها محفوظه الشعري ، وهي :

أ – الإستشهاد : « وهو أن يورد البيت من الشعر أو البيتين وأكثر في خلال الكلام المنثور ، مطابقًا لمعنى ما تقدم من النثر ، ولا يشترط فيه أن ينبه عليه بقال ونحوه كما يشترط في الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، فإن الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن غيره من أنواع الكلام ، فلا يحتاج إلى التنبيه عليه ... وأكثر ما يكون ذلك في المكاتبات الإخوانيات ... بل ربما كان كل المكاتبة أو جلها شعرًا ، وقد يكون صدر المكاتبة شعرًا وذيلها نثرًا. وبالعكس ، وقد يكون طرفاها نثرًا ، وأوسطها شعرًا ، وعكس ذلك بحسب ما يقتضيه الترتيب ، ويسوق إليه التركيب ، وربما اكتفى بالبيت الواحد من الشعر في الدلالة على المقصد وبلوغ الغرض في المكاتبة »[108].

ب – التضمين : « وهو أن يضمن الكاتب البيت الكامل من الشعر ، أو نصف البيت لبعض القرينة »[109].

جـ – الحل : « وهو أن يعمد الكاتب إلى الأبيات من الشعر ذوات المعاني فيحلها من عقل الشعر ، ويسبكها في كلامه المنثور »[110]، ولقد « قيل للعتابي : بماذا قدرت على البلاغة؟ ، فقال : بحل معقود الكلام »[111].

---

(108) صبح الأعشى : 274/1 ، 275.
(109) المصدر نفسه : 276/1 ، 277.
(110) المصدر نفسه : 281/1.
(111) عيار الشعر : 93.
ويلقي ابن الأثير الضوء على عملية حل الشعر فيقول : «من أحب أن يكون كاتبًا ، أو كان عنده طبع مجيب، فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ، ولا يقنع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته، وطريقه أن يبتدئ فيأخذ قصيدًا من القصائد ، فينثره بيتًا بيتًا على التوالي ، ولا يستنكف في الابتداء ، أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها ، فإنه لا يستطيع إلا ذلك. وإذا مرنت نفسه ، وتدرب خاطره ، ارتفع عن هذه الدرجة، وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ، ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضروبًا من العبارات المختلفة ، وحينئذ يحصل

ولاشك أن هذه الاستعمالات تنطوي تحت الغاية الكبرى من حفظ الأشعار ، وهي الوقوف على أسرار الجمال في تلك الأشعار مما يفتح أمام الكاتب مجالات أرحب للتعبير ، ويزيد من قدرته البلاغية[112].

ثالثا: الثقافة الأجنبية :

إن التقاء الحضارات عبر ثقافاتها المتعددة يمثل جانبًا مهمًا في تشكيل النظرة الثقافية لأبناء هذه الحضارات ، مما ينعكس أثره على حركات التجديد والتطوير، ولاشك أن الكاتب المبدع أحوج ما يكون إلى دفعات التجديد والتطوير ؛ ومن ثم كان اطلاعه على الثقافات الأجنبية أحد المكونات الأساسية لثقافته ، لما تتيحه له من رؤية أعمق يحدد بها – من جهة – مكانه في دنيا الإبداع الأدبي ، ويضع يده – من جهة أخرى – على مصادر ثرية لتطوير هذه المكانة.

لخاطره بمباشرة المعاني لقاح فيستنتج منها معاني غير تلك المعاني ، وسبيله أن يكثر الإدمان ليلاً ونهارًا ، ولا يزال على ذلك مدة طويلة ، حتى تصير له ملكة ، فإذا كتب كتابًا ، أو خطب خطبة، تدفقت المعاني في أثناء كلامه ، وجاءت ألفاظه معسولة لا مغسولة ، وكان عليها جدة حتى تكاد ترقص رقصًا».

المثل السائر : 85/84/1 .

وراجع أقسام حل الشعر ونماذج له في المثل السائر : 78/1 – 114. وراجع أيضًا كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم ، وكذلك كتاب جوهر الكنز: 608/607.

(112) سبق أن رأينا أن كافة عناصر الموروث الشعري والنثري تحقق هذه الغاية ، ولذلك يقول ابن الأثير عن فوائد اطلاع الكاتب على كلام المتقدمين ، من المنظوم والمنثور : « إنه يعلم منه أغراض الناس ، ونتائج أفكارهم ، ويعرف مقاصد كل فريق ، وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك ، فإن هذه الأشياء ، مما تشحذ القريحة ، وتذكي الفطنة ، وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفًا بها ، تصبر المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه ، يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد ، وأيضًا فإنه إذا كان مطلعًا على المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه ، ومن المعلوم أن خواطر الناس ، وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة ، فإن بعضها لا يكون عاليًا على بعض أو منحطًا عنه إلا بشيء يسير ، وكثيرًا ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني ، حتى إن = بعض الناس قد أتى بمعنى موضوع بلفظ ، ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الأول ، وهو الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر». المثل السائر : 29/1.

ويشير أبو هلال العسكري إلى دور الثقافة الأجنبية في دفع عجلة التطور والتجديد فيقول : « مَنْ عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ، ثم انتقل إلى لغة أخرى ، تهيأ له فيها صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى ، ألا ترى أن عبدالحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي » [113].

إذن ، فاطلاع الكاتب – بما يمثله من رصيد ثقافي استمد مكوناته من لغته الأم – على ثقافات جديدة ، تختلف طرائق التفكير والتعبير فيها عن طرائق التفكير والتعبير في لغته الأم – يتيح له مجالات أعمق وأوسع للإبداع الأدبي ، فمما لاشك فيه أن هذه الثقافات المتعددة تصب في وجدان الكاتب وعقله ، فتتلاقح فيما بينها ، لتنتج لنا أدبًا جديدًا ، هو مزيج من هذه الثقافات ، مما يصبغ عليه مميزات جديدة ، تمثل نقطة انطلاق وتحول في تاريخ الإبداع الأدبي.

رابعًا : الثقافة العامة :

وليس لهذه الثقافة حاصر ، ومن ثم ، فإن الكاتب يجب أن يلم بما يمكنه من المعارف المتعددة ، ولا يترفع عن تحصيل أي علم يكون له عونًا في كتابته ، ولقد ذكر ابن الأثير أنه « يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون ، حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء ، والماشطة عند جلوة العروس ، وإلى ما

---

(113) تتمثل نظرة المصنفين القدماء إلى الثقافة الأجنبية في إيمانهم بضرورة إلمام الكاتب بلغة العجم وسيرهم وأخبارهم، كالاطلاع على أمثال الفرس ، ومعرفة رسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم وسيرهم ومكايدهم ، والإلمام بمعاني العجم وحدود المنطق ، والنظر في التواريخ ومعرفة أخبار الدول. راجع على سبيل المثال الرسالة العذراء: 7 ، وحسن التوسل : 8 ، وصبح الأعشى : 165/1 ، 306.

وراجع أيضًا ما ذكره الجاحظ عن إلمام الكاتب بالثقافة الأجنبية. رسائل الجاحظ ، رسالة ذم أخلاق الكتاب: 193/192/2 ، وراجع أيضًا ما ذكره ابن قتيبة عن اتجاه المتأدبين إلى الثقافة الأجنبية وبخاصة الفلسفة والمنطق. أدب الكاتب : 3 – 5

يقوله المنادي في السوق على السلعة ... والسبب في ذلك أنه مؤهل لأن يهيم في كل واد فيحتاج أن يتعلق بكل فن »[114].

ولاشك أن إلمام الكاتب بكثير من المعارف المختلفة يجعله ذا شخصية متكاملة الجوانب ، ويذكر القلقشندي بعض هذه المعارف المختلفة ووجه احتياج الكاتب لها فيقول : « ومنها (يقصد العلوم التي يحتاج إليها الكاتب) ما يحتاج إليه بطريق العرض كالطب والهندسة والهيئة ونحوها من العلوم فإنه يحتاج إلى معرفة الألفاظ الدائرة بين أهل كل علم ، وإلى معرفة المشهورين من أهله ، ومشاهير الكتب المصنفة فيه لينظم ذلك من خلال كلامه فيما يكتب به من متعلقات كل فن من هذه الفنون كالألفاظ الدائرة بين أهل الطب ومشاهير أهله وكتبه فيما يكتب لرئيس الطب ، ونحو ذلك من الهيئة فيما يكتب لمنجم ، ونحوه من الهندسة فيما يكتب به لمهندس ، .... ، بل ربما احتاج إلى معرفة مصطلح سفل الناس لكتابة أمور هزلية : كمعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتسب به لطفيلي اقتراحًا أو امتحانًا للخاطر أو ترويحًا للنفس ، مع معرفة ما يجب عليه من وصف ما يحتاج إلى وصفه كأوصاف الأبطال والشجعان ، والجواري والغلمان ، والخيل والإبل ، وجليل الوحش وسائر أصنافه ، وجوارح الوحش والطير ، وطير الواجب ، والحمام الهدي ، وسائر أنواع الطير ، والسلاح بأنواعه ، وآلات الحصار ، والآلات الملوكية ، وآلات السفر ، وآلات الصيد ، وآلات المعاملة ، وآلات اللهو ، والطرب ، وآلات اللعب ، والمدن والحصون ، والمساجد ، وبيوت العبادات ، والرياض والأشجار ، والأزهار والثمار ، والبراري ، والقفار ، والمفاوز ، والجبال ، والرمال ، والأودية ، والبحار ، والأنهار ، وسائر المياه ، والسفن ، والكواكب، والعناصر ، والأزمنة ، والأنواء ، والرياح ، والمطر ، والحر ، والبرد ، والثلج ، وما يتعلق بكل واحد من هذه الأشياء أو ينخرط في سلكه ، ونحو ذلك مما تدعو الحاجة إلى وصفه من

---

(114) المثل السائر : 31/1.

حالات الكتابة»[115]. ومعنى ذلك أن إلمام الكاتب بكثير من المعارف يعطيه القدرة على التعبير في شتى مجالات الكتابة.

ومما تقدم يمكن القول بأن روافد الثقافات المتعددة تحقق هدفين أساسيين :

الأول : تنمية ملكة التذوق والحسن البلاغي لدى الكاتب :

مما لا شك فيه أن محصول الكاتب من الثقافتين العربية والإسلامية يتيح له تنمية ملكة التذوق والحس البلاغي ، « فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم ، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده ، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم

---

(115) صبح الأعشى : 147/146/1. وراجع جوهر الكنز : 32 فيما ذكره عن ضرورة اطلاع الكاتب على صناعات أرباب المعايش.
يبدو أن بعض ما يندرج تحت الثقافة العامة كالعلم بالطب والكيمياء والهندسة والنجوم وغيرها. كان من الأمور الأساسية في تكوين ثقافة الكاتب في القرون الثلاثة الأولى. إذ يذكر ابن قتيبة أن الجهل بأمور الزراعة والفلك والهندسة ينقص من مكانة الكاتب. راجع عيون الأخبار : 45/44/1.
وراجع أيضًا ما ذكره الجاحظ عن أصول الآداب كما وجدها عند الفلاسفة المتقدمين في الحكمة والمحيطين بالأمور.
رسائل الجاحظ : كتاب طبقات المغنيين : 131/3.
ومما يؤكد ذلك ما ذكر أبو أيوب المورياني عن إلمامه بالكيمياء والطب والنجوم والحساب والسحر. راجع الوزراء والكتاب : 97.
وروى الصفدي أن أحمد بن يحيى البلاذري حضر مجلس المتوكل وإبراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي أنشأه في تأخير النيروز ، والمتوكل يعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك ، فدخله نفاسة ، فقال : يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ فأعادوا النظر فيه ، وقالوا ما نراه وما هو ؟ ، فقال : أرخ السنة الفارسية بالليالي والعجم تؤرخ بالأيام ، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تشتمل على الليل والنهار ، وهو جزء من ثلاثين جزءًا من الشهر ، والعرب تؤرخ بالليالي ، لأن سنتهم وشهورهم قمرية ، وابتداء رؤية الهلال الليل ». راجع الوافي بالوفيات : 14/13/1. وراجع معجم الأدباء : 95/94/5.
ومعنى هذا أنه اعتبر العام بالأزمنة مكونًا أساسيًا في ثقافة الكاتب. ولقد قال الخليل بن أحمد : «لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه. قال أبو شمر : إذا كان لا يتوصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه ، فقد صار ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه ». الحيوان: 38/1. ولاشك أن هذه الرؤية تمثل رؤية القدماء إلى حد كبير.

الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب ، وإن سمع تركيبًا غير جار على ذلك المنحى مجَّه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر ، بل وبغير فكر ، إلا بما استفاد من حصول هذه الملكة ، فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل»(116).

فحصول ملكة التذوق إذن نتيجة طبيعية لمداومة التمرس على أساليب العرب الشعرية والنثرية ، ولعل ما ذكره ابن رشيق عن أهمية رواية الشاعر لشعر سابقيه يؤيد هذه الفكرة ، يقول ابن رشيق : «فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين يفضل أصحابه برواية الشعر ، ومعرفة الأخبار ، والتلمذة بمن فوقه من الشعراء ، فيقولون : فلان شاعر راوية ، يريدون أنه إذا كان راوية عرف المقاصد ، وسهل عليه مأخذ الكلام ، ولم يضق به المذهب ، وإذا كان مطبوعًا لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم ، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو ماثل بين يديه ، لضعف آلته : كالمُعقد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة»(117).

ولا شك أن ما ذكره ابن رشيق ينطبق تمامًا على حال الكاتب ، إذ لا تكفي الموهبة وحدها لأن تجعل منه بليغًا حاذقًا ، بل يجب أن تدور في مسامعه الألفاظ والمعاني ، حتى يسهل عليه مأخذ الكلام ، ويستطيع الافتنان في إخراجه ، وهذا يعني أنه لابد من مداومة التمرس على أساليب العرب الشعرية والنثرية حتى تحصل له ملكة التذوق.

---

(116) مقدمة ابن خلدون : 562 ويسمى ابن خلدون هذه الملكة ملكة الذوق أو حصول ملكة البلاغة للسان.

(117) العمدة : 97/1 ، وراجع أيضًا عيار الشعر لابن طباطبا : 18/17 في حديثه عن أدوات الشعر التي يجب إعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه.

ويمكن القول أيضًا أن اطلاع الكاتب على الثقافة الأجنبية – بما تحوي من جماليات مختلفة في الفكر والفن – مما يدعم قدرته على التذوق ، ويزيد من حسه البلاغي.

الثاني : توسيع قاعدة الإبداع الأدبي :

وذلك بفتح مجالات أوسع وأعمق لقدرات الإبداع الأدبي ، إذ الإلمام بالثقافات المتعددة يتيح للكاتب قدرة كبيرة على تلوين أشكال التعبير وصبغها بألوان شتى تنبع أساسًا من مخزونه الثقافي ، ولهذا كانت صفة الكاتب الذي يستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، « من إذا حاول صنعة كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت من معادنها ، وبدرت من مواطنها ، من غير استكراه ولا اغتصاب »[118].

ولاشك أن تدفق عيون الكلام وقدرة الكاتب على وضعها في أماكنها دون استكراه ولا اغتصاب ، لن يتأتى إلا بإلمام الكاتب بالثقافات المتعددة ، التي تتيح له قدرًا كبيرًا ومتنوعًا من المعاني ، فتتمثل أمامه طرائق متعددة للتعبير ، يأخذ منها ما يشاء ويدع منها ما يريد.

وأمامنا مثالان لتداعي المخزون الثقافي أثناء عملية الإبداع ، فقد « كان قلم ابن المقفع يقف كثيرًا ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن الكلام يزدحم في صدري فيقف قلمي لتخيره »[119]، وجاء صديق للعتابي فقال له : « اصنع لي رسالة ، فاستمد مدة ثم علق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك ، فقال له العتابي : إني لما تناولت القلم تداعت عليّ المعاني من كل جهة ، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ثم أجتني لك أحسنها »[120].

---

(118) الرسالة العذراء : 31.
(119) أدب الكتاب : 158.
(120) العقد الفريد : 174/4.

إذن ففترات التوقف التي اعترت ابن المقفع والعتابي لا ترجع إلى عجزهما عن التعبير ، ولكن ترجع إلى تعدد طرق التعبير مما يستلزم الاختيار، وإذا أدركنا أن ابن المقفع والعتابي من الكتاب المثقفين[121] ، لأصبح من الواضح أن تداعي المخزون الثقافي أثناء عملية الإبداع يجعل الكاتب قادرًا على تخير أدق المعاني وأبين الأساليب للتعبير عما يريده.

ويبين الجاحظ كيفية الاستفادة من المخزون الثقافي فيقول : « ومن قرأ كتب البلغاء ، وتصفح دواوين الحكماء ليستفيد المعاني فهو على سبيل صواب ، ومن نظر فيها ليستفيد الألفاظ فهو على سبيل الخطأ والخسران ... لأن من كانت غايته انتزاع الألفاظ حمله الحرص عليها والاستهتار بها إلى أن يستعملها قبل وقتها ، ويضعها في غير مكانها ... وسماع الألفاظ ضار ونافع :

<u>فالوجه النافع</u> : أن تدور في مسامعه وتغيب في قلبه ، وتختمر في صدره ، فإذا طال مكثها تناكحت ، ثم تلاقحت فكانت نتيجتها أكرم نتيجة ، وثمرتها أطيب ثمرة ، لأنها حينئذ تخرج غير مسترقة ، ولا مختلسة ولا مغتصبة ، ولا دالة على فقر ؛ إذ لم يكن القصد إلى شيء بعينه ، والاعتماد عليه دون غيره ، وبين الشيء إذا عشش في الصدر ثم باض ، ثم فرخ ، ثم نهض ، وبين أن يكون الخاطر مختارًا ، واللفظ اعتسافًا واغتصابًا فرق بيِّنٌ ....

<u>والوجه الضار</u> : أن يحفظ ألفاظًا بعينها من كتاب بعينه أو لفظ رجل ثم يريد أن يعد لتلك الألفاظ قسمها من المعاني ، فهذا لا يكون إلا مستكرهًا لألفاظه ، متكلفًا لمعانيه ، مضطرب التأليف ، متقطع النظام ، فإذا مر كلامه بنقاد الكلام وجهابذة المعاني استخفوا عقله ، وبهرجوا علمه »[122].

---

(121) راجع عن ثقافة العتابي الفهرست : 175 ، 176 ، تاريخ بغداد 488/12 ، وراجع عن ثقافة ابن المقفع أمالي المرتضي : 136/135/1 ، الفهرست : 181 ، 241 .

(122) رسائل الجاحظ « كتاب المعلمين » : 42/41/3.

ومن هذا يتضح أن دوران المعاني في نفس الكاتب يؤدي إلى اتساع دائرة التعبير، وتنوعها ، تبعًا لقدرة الكاتب على توليد هذه المعاني ، وإخراجها في ثوب جديد، وفي صور شتى ، الأمر الذي يؤدي إلى توسيع قاعدة الإبداع الأدبي.

المصادر والمراجع

(1) الأحكام السلطانية والولايات الدينية : لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، بيروت ، 1978م.

(2) أدب الكاتب : لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ت 276هـ. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط4 ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، 1963م.

(3) أدب الكتاب : لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ت 335هـ. نشر محمد بهجت الأثري ، المطبعة السلفية ، 1341هـ.

(4) أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين بن الأثير ، ت 630هـ ، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون ، المجلد الثاني ، دار الشعب.

(5) أسس النقد الأدبي عند العرب : د. أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة ، 1979م.

(6) أمالي المرتضى للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي ، ت 436هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1967م.

(7) الإمتاع والمؤانسة : لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1953.

(8) الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى ، د. عبدالمجيد عابدين ، ط1 ، مكتبة مصر ، 1956م.

(9) الأوراق (قسم أخبار الشعراء المحدثين) لأبي بكر الصولي ، عني بنشره ج. هيورث. دن ، دار الميسرة ، بيروت ، ط2 ، 1979م.

(10) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط أولى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1965م.

(11) بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس لأبي محمد يوسف ابن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ت 463هـ ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القسم الأول : 1967م ، والقسم الثاني : 1969م.

(12) البيان والتبيين : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت 255هـ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط4 ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1975م.

(13) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : لضياء الدين بن الأثير ت 637هـ ، تحقيق د. مصطفى جواد ، د. جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1956م.

(14) جمهرة اللغة : لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت 321هـ ، نسخة مصورة عن نسخة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن ، ط1 ، الصادرة في سنة 1344هـ ، نشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع.

(15) جواهر الألفاظ : لأبي الفرج قدامة بن جعفر ت 337هـ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط أولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1979م.

(16) جوهر الكنز : تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة : لنجم الدين أحمد ابن إسماعيل بن الأثير الحلبي ت 737هـ ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، 1980م.

(17) حسن التوسل إلى صناعة الترسل : لشهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي ت 725هـ ، المطبعة الوهبية بمصر ، 1881م.

(18) الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت 255هـ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت ، ط3 ، 1969م.

(19) دلائل الإعجاز : لعبدالقاهر الجرجاني ، ت 471 ، نشر السيد محمد رشيد رضا ، ط 6 ، مطبعة محمد علي صبيح ، مصر ، 1960م.

(20) رسائل الجاحظ : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، بالقاهرة ، 1964 – 1979م.

(21) الرسالة العذراء : لإبراهيم بن المدبر ، تحقيق : د. زكي مبارك ، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1931م.

(22) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الطبعة الثانية ، دار إحياء الكتب العربية ، 1970م.

(23) سر صناعة الإعراب : لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، 1954.

(24) سر الفصاحة : لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ت 466هـ ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، 1969م.

(25) الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريات 395هـ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبع عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1977م.

(26) صبح الأعشى : لأبي العباس أحمد القلقشندي ت 821هـ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1913م – 1916م.

(27) الصناعتين : لأبي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، 1952م.

(28) العقد الفريد : لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ت 327هـ ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1949 – 1965م.

(29) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ت حوالي 463هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، ط4 ، 1972م.

(30) عيار الشعر : لأبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي ت 322هـ ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1980م.

(31) عيون الأخبار لابن قتيبة ت 276هـ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1925 – 1930م.

(32) فتوح البلدان : لأبي الحسن أحمد بن يحيى البلاذري ت 279هـ ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978م.

(33) فقه اللغة وسر العربية : لأبي منصور الثعالبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ب.ت.

(34) الفن ومذاهبه في النثر العربي : د. شوقي ضيف ، الطبعة السابعة ، دار المعارف بمصر ، 1974م.

(35) الفهرست : لمحمد بن إسحق النديم ت 385هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، 1978م.

(36) فوات الوفيات : لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ت 764هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، 1951م.

(37) قانون ديوان الرسائل : لأبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي ، ت 536هـ ، مطبعة الواعظ بمصر ، 1905م.

(38) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لمصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة ، منشورات مكتبة المثنى ببغداد ، ب.ت.

(39) لسان العرب لابن منظور : تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين ، نشر دار المعارف بمصر ، 1979م.

(40) ما يحتاج إليه الكاتب : ضمن ثلاث رسائل لأبي الفتح بن جني ت 392هـ ، نشر وجيه فارس الكيلاني ، المطبعة العربية بمصر ، 1923م.

(41) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لابن الأثير ت 637هـ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1939م.

(42) مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ت 518هـ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، جـ1 ، مطبعة السنة المحمدية، 1955م.

(43) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، الجزء الأول ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة.

(44) معالم الكتابة ومغانم الإصابة : لعبدالرحيم بن علي بن شيث القرشي ، نشر الخوري قسطنطين الباشا المخلصي ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، 1913م.

(45) معجم الأدباء : لياقوت الحموي ت 626هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ب.ت.

(46) مقدمة ابن خلدون : لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون ت 808هـ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ب.ت.

(47) نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري ، ت 733هـ ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ، 1925 – 1931م.

(48) الوافي بالوفيات : لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت 764هـ ، باعتناء هلموت ريتر ، دار النشر فرانزشتاينر بفيسبادن ، 1962 – 1974م.

(49) الـوزراء والكتـاب لأبـي عبـدالله محمـد بـن عبـدوس الجهشـياري ت 331هـ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الأولى ، مصطفى البابي الحلبي ، 1938م.

(50) الوشي المرقوم في حل المنظوم : لضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن أبـي الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ت 637هـ، مطبعة ثمرات الفنون ، بيروت ، 1298هـ.

(51) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن محمد بن أحمد بن بكر بن خلكان ت 681هـ ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، 1968م.